

تأليف
حامد عبد القادر
عضو مجمع اللغة العربية سابقا

مراجعة وتعليق
د. عوني عبد الرؤوف
الأستاذ بكلية الألسن



الأمم السامية

مصادر تاريخها وحضارتها

تأليف
حامد عبد القادر
عضو مجمع اللغة العربية سابقاً

مراجعة وتعليق
د. عوني عبد الرؤوف
الأستاذ بكلية الألسن

دار نهضة مصر للطبع والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

أدين بالشكر للسيدين الجليلين :

الأستاذ حامد حامد عبد القادر مدير التعليم الثانوى بإدارة غرب القاهرة التعليمية الذى عهد إلى بمراجعة كتاب والده والتعليق عليه ، وتفضل بمتابعة الاتصال بالمطبعة حتى خرج الكتاب على هذه الصورة المشرقة .

والأستاذ السيد أحمد محمود باشا موجه أول اللغة العربية بإدارة غرب القاهرة التعليمية لتفضله بمراجعة الأصول المعدة فى صورتها النهائية للطبع .

كما أدين بالشكر للسيد - سعيد حسن بحيرى المدرس المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الألسن الذى تفضل بنسخ أصل الكتاب ومراجعة أصول المطبعة الأولى وعمل الفهارس العامة فى آخر الكتاب .

فلهم جميعا أخلص الشكر ووافر التقدير ،،،

٥ من مارس ١٩٨١ عونى عبد الرءوف



مقدمة

الأستاذ حامد عبد القادر أستاذ جليل ، جمع بين الثقافتين العربية والأجنبية ، فضلا عن دراساته للغات السامية والشرقية . فقد تخرج فى دار العلوم عام ١٩٢٠ . ثم سافر إلى انجلترا لدراسة علم النفس وعلوم التربية والأدب الإنجليزى ، إلا أنه بقى بعد اتمامه دراسته فى لندن حيث انتدب لتدريس اللغة العربية فى معهد اللغات الشرقية بجامعة لندن بضع سنوات . وقد أفاد من مدة بقائه بلندن فدرس اللغتين الساميتين العبرية والآرامية ، كما درس اللغة الفارسية أيضا .

وقد كان لهذه الدراسة العريضة أثرها العميق على مؤلفاته التى بلغت نحو خمسة وعشرين كتابا ، جمعت بين موضوعات شتى متعددة المناحى ، فالبعض منها يتصل بعلم النفس مثل « دراسات فى علم النفس التعليمى » ، وفى علم النفس الأدبى » ، « والعلاج النفسانى قديما وحديثا » ، والبعض يتصل بالدراسات الأدبية مثل « دراسات فى بديع الزمان الهمذانى ومهيار الديلمى » ، والبعض يتصل بالدراسات المقارنة واللغات الشرقية مثل « كتاب كليلة ودمنة فى الأدبين العربى والفارسى » ، « وقصة الأدب الفارسى » ، « والقطوف واللباب فى اللغة الفارسية وآدابها » . وفضلا عن ذلك فقد ألف فى مناهج أصول التربية وطرق التدريس ، وفى الفلسفة الإسلامية ، وفى اللغات السامية وآدابها ومصادر دراستها .

فقد كان رحمه الله موسوعة وحده جمع بين شتى التخصصات ومختلف المعارف والعلوم مما لا يتأتى لدارس أو باحث فى حاضرنا .

ولعل تعدد المناصب التى شغلها جعله ينحو هذا الاتجاه فى التأليف فبعد عودته من انجلترا عمل بدار العلوم ثم تولى منصب وكيل كلية أصول الدين ، وبعد ذلك نقل إلى وزارة المعارف حيث عمل مفتشا للغة العربية ومديرا فنيا

للامتحانات فترة من الزمن عاد بعدها إلى دار العلوم يدرس بها حتى عين أستاذا لكرسى الدراسات السامية والشرقية حتى عام ١٩٥٢ ثم عين مستشارا لشئون اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم حتى أحيل إلى التقاعد فى ١٩٥٥ .

والكتاب الذى نقدم له ألفه عن مصادر تاريخ وحضارة الأمم السامية وهو موضوع شغل الدارسين فترة طويلة من الزمن نتيجة للكشوف التى حدثت فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر ، وألف فيه العديد من المؤلفات فى مختلف اللغات الأوربية ، ولم يؤلف فيه — فيما نعلم — فى اللغة العربية أى كتاب فى زمن المؤلف ومن ثم تتضح قيمة مؤلفه هذا .

وحينما عهد إلى بمراجعته تبين لى من ترتيبه وتناوله للموضوعات وبعض الأسئلة المدونة فى آخره أنه كان محاضرات تلقى على الطلبة كما تبين لى أن بعض المعلومات التى وردت به أصبحت موضوعات تاريخية تجاوزها البحث العلمى الآن بعد تقدم الكشوف الأثرية وتطور الدراسات اللغوية والسامية .

ولم يعن المؤلف — رحمه الله — بذكر المصادر والمراجع التى نقل عنها ولهذا كانت مهمتى صعبة فى تتبع ما أتى به فى كتابه .

وقد اكتفيت بالتعليق على ما جاء فى كتابه من معلومات موضحا أو شارحا دون أى إضافة أو ذكر لحقيقة علمية لم يرد لها ذكر لديه لأنها لم تكن شائعة آنذاك أو لأنها اكتشفت بعد عصره . ولم أغير أى شىء بنص المؤلف إلا تصحيحا لاسم أو تصويبا لعبارة حتى أترك الكتاب لمؤلفه لينسب إليه وليس إلى غيره .

وانى لأرجو أن أكون قد قدمت الكتاب على الصورة التى أرادها مؤلفه وأن أكون قد خدمت النص الخدمة التى هو أهل لها ، والله الموفق وبه نستعين .

المعادى ٣ من مارس ١٩٨١ — أ . د : محمد عونى عبد الرؤوف

مصادر تاريخ الأمم السامية وحضارتها

من أين نستقى المعلومات الخاصة بالأمم السامية وحضارتها ؟

من عدة مصادر نلخصها فيما يلى (١) :

أولا : الأنقاض والآثار التى عثر عليها فى الدولتين البابلية والآشورية ، ووجد عليها نقوش مكتوبة بالخط الذى كان يستعمله البابليون والآشوريون ، وهو المسمى بالخط المسمارى ، وأحيانا بالخط الأسفينى أو السنانى . وسمى بالمسمارى لأن المقطع يتركب من عدة خطوط كل منها يشبه المسمار أو الأسفين وهو الوتد (Cuniform) .

ثانيا : ما ألفه قدماء المؤرخين فى هذا الموضوع وبخاصة مؤرخى اليونان مثل هيرودوت وتيودوروس الصقلى واسترابون .

ثالثا : نصوص معينة من كتاب يسمى كتاب تاريخ بابل ألفه أحد الكهنة ، ويسمى بيروسوس الكلدانى .

رابعاً : مؤلفات أصدرها علماء الآثار المحدثون ورجعوا فى تأليفها إلى إلى الآثار التى عثر عليها حديثا بين أطلال آشور وبابل .

خامسا : ما جاء فى العهد القديم الذى بين أيدينا باللغة العبرية وشروحه والتعليقات عليه .

ونتكلم بشىء من التفصيل عن هذه المصادر فنقول لا ريب أن أهم المصادر التى يرجع إليها فى تاريخ القدماء هو ماخلفوه من آثار ، ولذا يجدر بنا أن نعرف بالتفصيل تاريخ الكشف عن آثار بابل وآشور ، وهـــو على

---

(١) قبل البدء فى الكشف لم يكن لدينا سوى معلومات العهد القديم وبعض المؤلفات القديمة فضلا عن بعض الآثار القديمة وما زال العهد القديم مصدراً هاماً للشعوب التى كانت تجاور إسرائيل وميزوبوتاميا ، وإن كانت المعلومات به لا تتميز بالأصالة بل إنها منقولة عن مصادر أخرى . والمعلومات التى وصلت إلينا عن مصادر أخرى لم تكن صادقة تماماً حتى معلومات هيرودوت كانت خاطئة فى معظم جوانبها . إلا أن هذه المعلومات يمكن أن ينتفع بها على حذر وأن يستعان بالكشوف الجديدة على إكمالها .

النحو التالى : فى حوالى سنة ٦٠٦ ق . م (١) تهدمت نينوى العاصمة الثانية للدولة الآشورية ، وذهب بتهدمها كثير من آثار الشعبين العظيمين الآشورى والبابلى . وأصبح تاريخهما وهو ما يزيد على خمسة عشر قرناً فى سجل مغلق هو سجل الأطلال المكدسة والخرائب المهجورة والنقوش المطمورة التى لم يستطع أحد الوصول إليها فضلا عن التفكير فى حل مشكلاتها .

بعد تلك الحقبة من الزمن استيقظ علماء الآثار وأخذوا يفكرون فى استخراج تلك الصفحات التاريخية المهجورة ، وكان فى مقدمة ما تم من ذلك أن اعتقد بعض المفكرين أن بغداد القائمة على نهر دجلة أو تلال اكركوف (Akerkuf) الواقعة على مقربة من بغداد قامت على أنقاض بابل ؛ وأن بعض الرحالة أخذوا يبحثون عن الموقع القديم لكل من بابل ونينوى . وكان من هؤلاء الرحالة اليهودى بنيامين التطيلى الذى زار مدينة الموصل فى شمالى العراق سنة ١١٦٠ ميلادية ، وشاهد على الشاطىء الآخر من نهر دجلة مكانا ظن أنه كان موقع نينوى . كما شاهد على نهر الفرات على مسيرة ثلاثة إلى الغرب من بغداد قرب مدينة الحلة خرائب أخرى قدر أنها بقايا مدينة بابل وبرجها . وقد دلت أبحاث العلماء فيما بعد على صحة رأى هذا الرحالة فى موقع هاتين المدينتين .

٢ — وحتى نهاية القرن السادس عشر الميلادى كان علماء الجغرافيا من الأوربيين وغيرهم يجهلون هذا الموضوع جهلا تاماً ، واستمر هذا الجهل مدة قرن ونصف ثم أخذ العلماء يقومون بأبحاث علمية فى هذا الصدد ، وتعد الفترة التى بين سنة ١٧٥٠ ، ١٨٢٠م فترة تمهيد للكشف عن آثار بابل وآشور .

وفى سنة ١٧٥٥ تلقى مجمع النقوش الفرنسى مذكرة تلخص تقريراً قدمه ايمانيول الكرملى (Emmanuel the karmelite) وتتضمن الأدلة المختلفة التى تبرهن على أن موقع بابل الحقيقى كان على مقربة من مدينة الحلة

---

(١) استولى الميديون الذين زحفوا من هضبة إيران عام ٦١٢ ق . م على نينوى ، عاصمة الآشوريين وخربوها ، فبادت الامبراطورية الأشورية .

على نهر الفرات — كما ظن بنيامين — وعلى أن ما يسمى بيرس نمرود (Birs Nimrud) الواقعة على الشاطيء الآخر من هذا النهر كانت جزءاً من تلك المدينة .

٣ — وبعد ذلك بعشر سنوات قرر كارستين نيبور (١) العالم المؤرخ الرحالة أن الخرائب والتلول القائمة تجاه الموصل هى نفسها بقايا نينوى القديمة — كما قال بنيامين أيضا .

وقام بأبحاث أخرى إضافية للتحقق من موقع مدينة بابل ، ولفت الأنظار إلى وجود تل فسيح يسمى تل النمرود على مسافة نحو ١٥ ميلا جنوبى نينوى . وقد لاحظ هؤلاء الرحالة ومن أتى بعدهم وجود لبنات كثيرة مبعثرة على سطح الأرض ، كما لاحظوا وجود أنقاض هائلة فى مساحات فسيحة فوق تلك التلال ، وعثروا على نقوش غريبة مكتوبة على قطع من الآجر أو على أشياء أخرى منتشرة على سطح الأرض .

ولم يكن لهذا أو ذاك من المعارف التى وصلت إلى العلماء فى ذلك الوقت معنى بغير التقدم فى الكشف عن الآثار التى كمنت فى صدور تلك الأطلال . وهذا يتطلب أمرين هامين هما :

(أ) التنقيب فى تلك الأطلال للحصول على الآثار القديمة التى خلفها القدماء من ملوك بابل وآشور .

(ب) النظر فى النقوش التى على تلك الآثار ، والسعى فى طريق حل رموزها لمعرفة لغة هاتين الدولتين .

---

(١) كارستن نيبور (Carsten Niebuhr) (١٧٣٣ — ١٨١٥ م) رحالة ألمانى ، زار خرائب بابل وبغداد والموصل وحلب . ومن أشهر أعماله :

— Beschreibung von Arabien, Copenhagen, 1772.

— Reisebeschreibung nach Arabien und anderen umliegenden Ländern, 2 Vol, Copenhagen 1774 — 78.

وقد نقل عام ١٧٦٥ من قصــور Persepolis نقوشاً كتبت بأنواع ثلاثة من الخطوط ، بالفارسية القديمة والعيلمية والأكدية .

وقد هب العلمـــاء للنهوض بهذين الأمرين بكل ما لديهم من نشاط فكانت الأعمال الحفرية للتنقيب فى آثار آشور وبابل ، والسعى فى حل نقوشها اللغوية بمثابة كتابة صفحتين خالدتين مشرقتين فى سجل تاريخ النقوش العلمية الحديثة .

٤ ـــ وكان فارس الحلبة فى ميدان الحفريات الحديثة البحاثة المشهور كلوديوس جيمز رتش (١) الذى كان يقيم ببغداد ممثلا لشركة شرقى الهند البريطانية ، وفى سنة ١٨١١ م هرع إلى بقايا بابل ودرسها ، وفى سنة ١٨٢٠ م أخذ ينقب فى تلال نينوى . وفى أثناء زيارته لها مسح الأرض ، وحفر الخنادق ورسم رسوماً تمثل مواقع خرائب نينوى واتجاهاتها أدق تمثيل . وجمع ما عثر عليه من نقوش وجواهر محفورة وغيرها من الآثار ، وأرسلها إلى بريطانيا ، وأودعت دار التحف البريطانية ، فكانت فى ذلك الوقت أثمن مجموعة من نوعها فى العالم .

ومن قبل ذلك ببضع سنين كانت شركة شرقى الهند البريطانية السابقة قد طلبت إلى ممثليها فى بابل أن يجمعوا كل ما يعثرون عليه من آثار بابل القديمة ، ويرسلوها إلى بريطانيا ، ومن بينها أسطوانة بختنصر الثانى المشهورة ، وهى معروفة فى تاريخ الحفريات باسم نقوش بيت شرقى الهند)
(East India House Inscriptions)

٥ ـــ وقبيل عـــام ١٨٠٢ كان ميشو (١) عالم النبات الفرنسى يعمل على مقربة من مدينة تيسفون (وهى مدينة إيرانية قامت على أنقاضها مدينة المدائن)

---

(١) كلوديوس جيمس رتش (C.J. Rich) من أشهر من اشتغل بالحفريات فى هذه المنطقة مثل كنير (Kinneir) ، وايزورث (Ainsworth) ، وقد أكدوا جميعاً وجود خرائب كثيرة تحت الأطلال لم تكتشف بعد . وهو شخصية عجيبة مثل شامبليون . بدأ دراسة الاستشراق وهو فى التاسعة من عمره ، وتعلم الصينية وهو فى الرابعة عشر ثم عين قنصلا لشركة شرقى الهند عندما كان عمره أربعة وعشرين عاماً ، فقام برحلات كثيرة فى منطقة وادى دجلة والفرات .

(١) اندريه ميشو André Michaux (١٧٤٦ – ١٨٠٢ م) عالم نبات فرنسى . أرسلته الحكومة الفرنسية عام ١٧٨٢ م فى بعثة لدراسات النباتات فى فارس .

فعثر على قطعة من الرخام نقشت عليها علامات وأشكال غريبة . وقد دل البحث على أنها صوه (علامة من الأحجار لبيان الطريق) بديعة عليها نقش لأحد الملوك البـــابليين وهو مرد كبا لدين الأول(Mardukbaliddin) .
ومع ذلك فقد كانت تلك الآثار التى عثر عليها حتى سنة ١٨٠٢ م قليلة لدرجة أن البحاثة لا يارد (٢) كان على حق حينما قال سنة ١٨٤٥ م أن كل ما عثر عليه من آثار نينوى العظيمة وبابل نفسها حتى سنة ١٨٤١ كانت قليلة جداً لدرجة أنه كان من الممكن وضعها فى صندوق صغير الحجم لا يكاد حجمه يتجاوز ثلاثة أقدام مكعبة .

غير أن هذه النتائج التى وصل إليها ريش قد أثارت اهتماما بعيد المدى ليس فى انجلترا وحدها ، بل فى أمريكا أيضا لدرجة أن ادوارد روبنسون (١) قال فى سنة ١٨٤٩م مشيرا إلى تلك النتائج : « إننا جميعاً نتذكر ذلك الأثر البليغ الذى أحدثته فى عقول الجمهور آثار نينوى وبابل على الرغم من أنها

---

(٢) سير أوستن هنرى لايارد Sir Austin Henry Layard (١٨١٧ — ١٨٩٤ م) مؤلف ودبلوماسى وعالم حفريات . قام بحفريات كثيرة فى نينوى ، واستمرت حفرياته بمنطقة آشور من ١٨٤٥ حتى ١٨٤٧ م ، وزار خرائب النمرود وتل كويونيك (Kuyuinjik) بالقرب من الموصل . قام بنشر كتاب عن حفرياته بعنوان :

— Nineveh and its Remains : with an Account of a Visit to the chaldaean. Christians of Kurdistan, and the Yezidis of Devil worshippers ; and an Inquiry into the Manners and Arts of the Ancient Assyrins 62 Vols., 1848 — 49 .

والكتاب مصحوب بمصور باسم :

Illustrations of the Monuments of Nineveh 6 1849.

وفى عام ١٨٤٩ بدأ رحلة حفريات ثانية فى خرائب بابل وتلال جنوبى ميزوبوتاميا ، وكتب عنها كتابا باسم : Discoueries in the Ruins of Nineveh and Babylon, 1855

مصحوبا بمصور باسم : A second Series of the Monuments of Nineveh

وأرسل ما اكتشفه من حفريات إلى انجلترا مكوناً الجانب الأعظم من الآثار الآشورية التى يحتويها المتحف البريطانى ، وفى عام ١٨٩٤ م نشر كتاباً عن رحلاته بالمنطقة بعنوان :

Early Adventures of Persia, Susiana and Babylonia.

(١) إدوارد روبنسون Edward Robinson (١٧٩٤ — ١٨٦٣ م) عالم دينى بعد أول مؤسس لجغرافية الكتاب المقدس ، أمضى ثلاث سنوات بفلسطين ، كتب بعدها كتابه عن :

Biblical Researches, 1856.

كانت قليلة ونادرة » . وقد مضى على هذا الاهتمام عشرون سنة قبل أن يخرج من حيز الفكر إلى حيز العمل المنتج ، والحق أنها كانت سنوات مليئة بالجد والنشاط من جانب العلماء الذين حاولوا حل مشكلة النقوش اللغوية وبخاصة السير هنرى راولنسون (١) .

٦ — وفى سنة ١٨٤٢م أرسلت فرنسا البحاثة بوتا (٢) ليكون قنصلا لها بالموصل فابتدأ بوصوله عهد جديد من ١٨٤٢ م إلى ١٨٥٤ م ، يمكن أن يسمى عهد البطولة فى الحفريات ذلك لأهمية ما تم من أعمال على أيدى رجال عاملين . وكان أول ما بدأ به بوتا(٣) أن شرع فى التنقيب فى تلى نينوى العظيمين اللذين حدد معالمهما ريش ، ويسميان تل النبى يونس ، وتل كويونجيك (٤). ولما لم يصادف نجاحاً فى عمله فى هذا المكان انتقل سنة ١٨٤٣ م بناء على إشارة أحد الفلاحين الخبراء بالآثار إلى تل يسمى تل خورس آباد على بعد نحو أربعة أميال إلى الشمال الشرقى . وهنا نجح تنقيبه نجاحاً مباشراً إذ وصل إلى

(١) هنرى راولنسون H. Rawlinson قنصل بريطانيا ببغداد . كشف بالقرب من بهستون Behiston فى فارس نقشا مسمارياً مكتوباً بثلاثة أنواع من الكتابة ، وكان أحد النصوص بالكتابة الفارسية ، والآخر بالعيلمية ، والثالث بالبابلية .

(٢) بول أميل بوتا Paul Emile Botta (١٨٠٢ — ١٨٧٠ م) رحالة مشهور وعالم آثار . قام بحفريات فى خور ساباد Khorsabad عام ١٨٤٣ م . كان طبيب محمد على ، وزار أثناء عمله بمصر سنار عام ١٨٣٠ م حيث جمع بعض الحشرات . وفى عام ١٨٣٣ عين قنصلا لفرنسا بالأسكندرية ثم بالموصل عام ١٨٤٠ .

(٣) Botta

(٤) نينوى : يرى بيترز John Peters الأمريكى نتيجة لحفائره فى نيبور أن تأسيسها تم فى فترة سابقة للألف السادس . وربما كان ذلك فى الألف السابع (نجيب ميخائيل حـ ٥ ص ٤٤) تأسس بها معبد انليل وأقيم بها القصور والمعابد ، وعرفت صناعة الزجاج والنقش . وكانت تقع على المجرى القديم لشط انليل ، كما كان النهر يسمى نهر الفرات من ناحية الجنوب فرات نيبور . وورد هذا الاسم على بعض لوحات العقود التى عثر عليها هناك ، وكانت مركزاً دينيا متوسطاً تعرضت لعصور من الاحتلال ، كما تدل على ذلك خرائبها التى تحوى عناصر مختلفة متباينة . لما تولى سرجون العظيم الملك أعاد بناء « أى كور » معبد انليل الكبير وجدده ابنه نرامسن ، ووضع عولجى بها هيكلا لإله القمر به تمثال لننار معبود أور ، كما أقام بها معبداً للإله دامجار نونا . وتدعى نينوى الآن كينجيك Kuyunjik .

الكشف عن سلسلة من المبانى تحتل بقعة فسيحة جداً من الأرض وتزدان بتماثيل عجيبة الصنع على الرغم من أن النار قد اتلفت بعض أجزائها .

وقد دل البحث على أن هذه المبانى هى دور سرجون (١) ، وتشتمل على قلعة وقصر ومعبد بناها سرجون الثانى ملك آشور العظيم (من سنة ٧٢٢ إلى ٧٠٥ ق . م) .

ومات بوتا فخلفة فيكتور بلاس(٢) أكثر من عشر سنين فى الكشف عن هذا القصر وما يتصل به ، وفى التنقيب فى أماكن أخرى مجاورة له . وقد أرسلت الآثار التى عثر عليها إلى باريس .

٧ — وفى سنة ١٨٤٥ م حقق الرحالة الموظف الإنجليزى المشهور لايارد (Layard) حلماً طالما كانت نفوس الباحثين تصبو إلى تحقيقه . وقد ساعده على ذلك خبرته الطويلة ، فقد قضى سنين طوالا فى التنقل فى بلاد الشرق الأوسط ، واتصل اتصالا وثيقاً بسكان أرض الجزيرة فيما بين النهرين ، وألم بلغاتها ، وأعانه على عمله كرم وزير إنجلترا المفوض فى القسطنطينية فى ذلك الزمن ، وكانت بداية عمله أن شرع فى أعمال حفرية واسعة النطاق فى تلك المنطقة ، واختار لذلك تل نمرود على بعد ١٥ ميلا إلى الجنوب من نينوى .

وقد أسفرت بحوثه فى عامى (١٨٤٥ — ١٨٤٧ م) عن الكشف عن ثلاثة

---

(١) دور سرجون Dur - Sharruken دور سرجون إلى الشمال الشرقى من نينوى بناها سرجون الثانى ملك آشور (٧٢١ — ٧٠٥ ق . م) لتكون عاصمة جديدة للبلاد ثم أهملت بعد موته .

(٢) بعد عزل بوتا Botta عام ١٨٤٨ م — عندما اتهمته الثورة الفرنسية بأنه ملكى — من منصبه بالموصل ، ونقله إلى طرابلس الغرب ، عين مكانه عام ١٨٥٢ م فيكتور بلاس V. Place فتولى الحفريات طوال ثلاث سنوات ، فوجد حظه وسوء حظه أيضا بمنطقة خورساباد (Chorsabad) فاكتشف بمساعدة توماس F. Thomas المعمارى والرسام الشرفة الصناعية التى تبلغ مساحتها ١٠ هكتار ويبلغ ارتفاعها خمسة عشر متراً والتى أقام عليها سرجون مدينته — مائتى حجرة أخرى وثلاثين فناء . كما كشف عن جدران غطيت بالنقوش والرسوم أهمها جلجامش مع السباع (تابع ما ورد لدى شيكل Schmökel ص ٢٤٨ فى كتاب :
Funde im zweistrom Land

قصور ، وهى قصر آشور ناصر بعل ، قصر شلما نصر الثالث (١) سنة (٨٦٠ — ٨٢٥ق. م) ، وقصرا سرحدون (٢) (٦٨١ — ٦٦٨ ق . م) .

وقد عثر فى أحد هذه القصور على المسلة السوداء الشهيرة التى وجد عليها اسم يهوا إله بنى إسرائيل . وقد عرف فيما بعد أن هذا المكان هو مدينة كلخى أو كالة (٣) التى جعلها شلما نصر الأول (٤) (١٢٩٠ — ١٢٦١ ق . م) عاصمة لآشور .

ومن سنة ١٨٤٩ إلى ١٨٥١ م قصر لايارد جهوده على التنقيب فى تلى نينوى السابق ذكرهما ، فكشف فى تل كويونجيك عن قصر سنحاريب (٥) (٧٠٥ — ٦٨١ ق . م ، (وفى تل النبى يونس عثر على قصور لثلاثة ملوك من ملوك آشور وهم أدادنيرارى الثالث (٦) (٨١٢ — ٧٨٣ ق . م) ، وسنحاريب ، واسرحدون .

وفى ربيع ١٨٥٢ م أدت حفرياته التى تابعها فى كلاه شيرغات على بعد ٤٠ ميلا إلى الجنوب من تل نمرود إلى التأكد من أن هذا التل نفسه كان مدينة آشور أول عواصم الآشوريين . ووالى العثور على أسطوانة النقوش المنسوبة إلى تجلت بل عزرا الأول (١١١٥ — ١١١٠ ق . م) (٧) .

ومن سنة ١٨٥٢ إلى ١٨٥٤ م واصل عمل لايارد مساعده هرمزدرسام الذى فتح قصر تجلت بل عزرا الأول فى آشور ، وحصل فيه على صورتين أخريين من أسطوانة النقوش المنسوبة إليه . وفى سنة ١٨٥٣ م كشف هرمز رسام أيضاً فى نينوى عن قصر آشور بنى بعل (٨) (٦٦٨ — ٦٢٧ ق . م)

(١) Salmanassar III (٨٥٩ — ٨٢٤ ق . م) ، أنظر : فون سودن ، تاريخ العالم حـ ٢ ص ٦٨ .

(٢) Assarhadon (٦٨١ — ٦٦٩ ق . م) ، انظر : فون سودن ، تاريخ العالم حـ ٢ ص ٦٨ .

(٣) Kalach

(٤) Salmanassar I (١٢٧٦ — ١٢٤٦ ق . م) .

(٥) Sanherib

(٦) Adadnerari III (٩١٢ — ٨٩١ ق . م)

(٧) Tiglatpilesar I (١١١٧ — ١٠٧٨ ق . م)

(٨) Assurbanipal (٦٦٩ — ٦٢٧ ق . م) .

فى الجزء الشمالى من تل كويونجيك ، ونقل من إحدى حجراته مكتبة هذا الملك الشهيرة التى احتوت على مايربو على عشرين ألفاً من الألواح المنقوشة ، وقد كان لهذا الكشف التى تم على يد هرمز رسام أثر بالغ فى معرفة تاريخ هذا الملك وعصره . وقد عثر هرمز رسام أيضاً فى تل نمرود على لوحة حجرية نسبت إلى شمس آداد (١) (٨٢٥ — ٨١٢ ق . م) ، وفى نينوى نفسها على مسلتى آشور ناصر (٢) (٨٨٥ — ٨٦٠ ق . م) السابق ذكره .

وقد أرسل الجزء الأكبر من الآثار التى عثر عليها لايارد ومساعده رسام إلى المتحف البريطانى فى لندن ، فكان نواة لما حوى هذا المتحف من مجموعة الآثار الآشورية القديمة التى لانظير لها .

هذه هى أهم البحوث التى قام بها العلماء فى آشور شمالى العراق . أما فى بابل فقد كان العمل الذى تم فى تلك السنوات عظيماً ، ولكن نتائجه كانت محدودة :

١ — وقد زار لايارد مدينة بابل ١٨٥١ م . وقام بتجارب حفرية فى بابل ونفير Naffier المسماة بنبور . ولكن لم يظفر بنجاح يعتد به .

٢ — ومن سنة ١٨٤٩ إلى ١٨٥٤ كان لوفتوس (٣) يعمل فى تلى سنكره senkereh وورقه waraka . وقد تأكد أن التل الأول هو بقايا مدينة لارسم ، وأن التل الثانى هو بقايا مدينة أوروك Uruk . وقد حصل من المدينتين على حلى من المعدن والآجر وبعض لوحات قديمة من الآجر بالإضافة إلى ناووس يدل على الطريقة التى كان يتبعها القدماء فى دفن موتاهم .

٣ — وفى سنة ١٨٥٤ قام العلامة تيلور (٤) بأعمال تنقيبية فى بقايا معبد عند بلدة المجير (Mugheir) التى علم فيما بعد أنها قامت على أنقاض مدينة

---

(١) Schamschiadad (٨٢٤ — ٨١٠ ق . م)

(٢) Assurnassirpal II (٨٨٤ — ٨٥٩ ق . م)

(٣) لوفتوس W.K. Loftus مهندس مساحة انجليزى .

(٤) تيلور J.E. Taylor كان نائب القنصل بالبصرة .

أور (Ur) . الكلدانية ، وكذلك عند قرية أبو شهرين التى عرف فيما بعد أنها قامت على أطلال اريدو (Eridu) . وهى أقدم مدن بابل القديمة ، وأبعدها إلى الجنوب .

وفى السنة نفسها وجه السير هنرى روالنسون المنقبين إلى مدينة برس نمرود (Birs Nimrud) على مقربة من بابل . وهناك كشف عن الهيكل الضخم لبختنصر الثانى (١) (٦٠٥ — ٥٦٢ ق . م) . وعثر فى أساس هذا الهيكل على أسطوانة عليها نقوش منسوبة إلى بختنصر الثانى .

٤ — ومن ١٨٥٢ — ١٨٥٤ م كانت بعثة فرنسية تعمل تحت إشراف عالمين أثريين من علماء الآثار الفرنسية هما فرسنل (Fresnel) (٢) وأبرت (Oppert) فى بابل وما حولها ولم تعثر هذه البعثة على آثار كثيرة ، ولكنها مع ذلك وصلت إلى نتائج لها قيمة كبيرة فى معرفة جغرافية البلاد وطبيعة مناخها .

وقد توقفت أعمال الحفر سنة ١٨٥٤ م ، وأثمرت الأبحاث التى تمت فى الاثنتى عشرة سنة السابقة لسنة ١٨٥٤م ، أى من بوتا إلى بعثة فرسنل وأبرت ، ثمرات أعظم قيمة مما كان ينتظر نتيجة للجهود التى قام بها رجال كانوا يعملون فى الغالب مستقلين . وقليلا ما كانوا يستعينون بما أمكنهم الحصول عليه من أموال محدودة ، وكثيراً ما كانت تعوقهم الأمراض خصوصاً مرض الحمى ، وكذلك المجاعات والفيضانات النهرية واعتداءات الأعراب ، وثورات الوطنيين المتحمسين لوطنهم ، وعناد الموظفين الأتراك وغيرهم . وتلك عوائق كانت كافية للفت فى عضد هؤلاء العاملين لو لم يكونوا ذوى عزائم قوية وحماسة فائقة .

وكانت بعد ذلك فترة من الزمن استمرت نحو عشرين سنة كاملة من (١٨٥٤) إلى (١٨٧٣ م) كانت كميات الآثار الهائلة التى عثر عليها الباحثون

(١) Nebukadnezar II (٦٠٥ — ٥٦٢ ق . م) .

(٢) فرسنل (F. Fresnel) عالم حفريات فرنسى ، كادت بعثته تفشل لولا الحفريات والرسوم المنقولة التى قام بها مساعده J. Oppert عالم الأشوريات الذى حصل على الدكتوراه من مدينة كيل .

قد أشبعت رغبتهم ، فقد كشفوا خلال تلك المدة القصيرة التى استمرت زهاء اثنتى عشرة سنة(١٨٤٢ — ١٨٥٤ م) عن عالم جديد لحياة القدماء ، ووضعوا بين يدى العلماء تلك الذخائر النفيسة التى خلفها ذلك العالم القديم الذى كان التاريخ يتحدث عنه بلغة مجهولة . إنه عالم انقضى وترك وراءه أدباً وفناً وعمائر تعد عظيمة حقاً ، وإن كانت غريبة غير مألوفة .

وكانت الحاجة بعد ذلك ماسة إلى دراسة ماعثر عليه من الآثار القديمة وما عليها من نقوش ، وإلى تنظيمها وإذاعتها بين العلماء . فهذا كان أولى من مواصلة البحث عن آثار جديدة أخرى وتكديسها قبل أن تحل رموز الآثار القديمة ، ويتوصل العلماء إلى فهمها .

وفى أثناء العشرين سنة المشار إليها ظهرت إلى الوجود المجلدات الثلاثة الأولى وتشتمل على النقوش المسمارية الخاصة بغرب آسيا ، والتى نشرها عن المتحف البريطانى السير هنرى روالنسون . وهذه مادة لم يكن عنها غنى لمن يريد من الباحثين متابعة هذه الدراسة فى المستقبل ، كما تم فى المدة نفسها الإحاطة التامة بأسرار اللغة الأكدية فتمكن العلماء من قراءة النقوش الآشورية فى دقة وإتقان على النحو الذى سنشرحه فيما بعد .

١ — فى سنة ١٨٧٣ م استأنفت بعثة جورج سميث الإنجليزى (١) أعمال التنقيب فى نينوى ، وكان الغرض من ذلك إلقاء ضوء كاشف على النتائج التى

---

(١) جورج سميث George Smith (١٨٤٠ — ١٨٧٦ م) عالم أشوريات . انجليزى . عين بتوصية روالنسون مساعداً بقسم الأشوريات بالمتحف البريطانى ، واكتشف فى أول حياته العلمية نقشين ، أولهما يحدد كسوف الشمس فى شهر سيفان (مايو ٧٦٣ ق . م) ، والآخر تاريخ غزو العيلمين لبابل عام ٢٢٨٠ ق . م . وزادت شهرة سميث بترجمته حساب الكلديين عن الطوفان عام ١٨٧٢ م . ثم اتفقت معه مجلة ديلى تلغراف Daily Telegraph فى العام التالى على قيامه برحلة إلى نينوى وأن يقوم بحفريات هناك للبحث عن لوحات الطوفان المفقودة . وقد اكتشف فى رحلته هذه اللوحات المفقودة ولوحات أخرى تسجل تاريخ حكم الأسر البابلية . وفى عام ١٨٧٤ م رحل سميث مرة أخرى إلى نينوى على نفقة المتحف ، وواصل حفرياته بكينجيك Konyunjik ثم أرسل مرة أخرى ثالثة عام ١٨٧٦ على نفقة المتحف لمواصلة الكشف عن بقايا مكتبة آشور بانيبال . وتوفى بحلب فى أغسطس ١٨٧٦ .

وصل إليها العلماء فى فترة العشرين سنة السابقة . وكان من بين ألواح الآجر التى كان قد أحضرها رسام من مكتبة آشور بنى بعل لوحات كتب عليها اقتباسات من قصة الطوفان كما كان يعتقدها الآشوريون ، وقد أثارت ترجمة جورج سميث لها اهتماماً عظيماً بين الباحثين أدى إلى متابعة البحث للحصول على معلومات جديدة قد تكمل هذه القصة .

حقاً إن الباحثين فى عصر البطولة أى عصر البحث والتنقيب والكشف عن الآثار قد كشفوا عن قصور الملوك وأخرجوا التماثيل والنقوش من بطن الأرض . ولكنهم لم يقيموا وزناً لهذه الألواح والتماثيل . ولم يحاولوا فهم ماكان عليها من نقوش .

١ — إن رسام كان قد استخرج من غرفة المكتبة الخاصة بآشور بنى بعل من الألواح ماكان من السهل الوصول إليه فقط .

ولما أصبح من الممكن قراءة النقوش ، صارلهذه الألواح من الأهمية مثلما كان للتماثيل نفسها إن لم يكن أكثر من ذلك . ولذا يمكن أن يقال إن استئناف بعثة سميث للحفريات يعد بداية حقيقية لعصر الحفريات العلمى الحديث ، ذلك العصر الذى لم يتصور الباحثون له نهاية محدودة .

وقد كان الغرض الأساسى من أعمال الحفر فى ذلك العصر هو التنقيب الشامل لجميع معالم التاريخ القديم القائمة فيما بين النهرين (ميزوبوتاميا) للحصول على كل ما يمكن الحصول عليه من آثار تلقى ضوءاً على تاريخ الشعوب القديمة وحضاراتها .

وهناك ميزة أخرى لذلك العصر تلك هى حسن اختيار نواحى التنقيب بكل دقة وتنظيم الهيئات والطوائف المشتغلة بالحفريات تنظيماً يقوم على أساس من الدراسة والبحث . وكذلك إمداد تلك الطوائف بالأموال وبكل وبكل ماتحتاج إليه من الأدوات اللازمة للحفر والتنقيب .

وقدكانت نتائج تلك البحوث باهرة واستؤنف العمل الذى بدأه جورج سميث سنة ١٨٧٣ م ، وذلك من سنة ١٨٧٤ إلى ١٨٧٦ . وفى هذه السنة

توفى هذا البحاثةفى حلب فى طريقه إلى نينوى، وذهب شهيد الواجب وضحية الإخلاص فى العمل. ولم يقض نحبه إلا بعد أن حصل على عدد آخر من الألواح من مكتبة آشور بنى بعل . وكان من بينها ألواح تشتمل على مقتبسات قيمة خاصة بالطوفان . هذا إلى أنه اشترى من بابل لحساب المتحف البريطانى بعض اللوحات القيمة .

٢ — وقد أرسل هرمزد رسام (١) الذى حظى بشهرة واسعة فى عهد سابق ليحل محل جورج سميث ، فكان مصيره الفوز العظيم ، وقد استمر عمله هذه المرة من ١٨٧٧ — ١٨٨٢ م . وكان أهم ما كشف عنه معبد آشور بنى بعل (Assurbanipal) فى نينوى ، واسطوانته الضخمة التى كانت فى كيونجيك . وقد عثر فى بلاوت (Balawat) الواقعة على بعد ١٥ ميلا إلى الجنوب من الموصل على أبواب معبد شلما نصر الثانى ، وهى برونزيه ، وتعد وحيدة فى نوعها ، ولذا كانت ذات أهمية تاريخية عظيمة .

ولم يكن نجاح رسام فى حفرياته ببابل بأقل عظمة من نجاحه فى آشور . وقد حاول فى المنطقة الجنوبية حل مشكلة عظيمة كانت محوطة بكثير من الصعاب ، تلك هى تحديد مواقع المبانى والمدن القديمة فى التلال والآكام .

وقد تأكد من أن الحدائق المعلقة المعروفة فى بابل هى فى الواقع حدائق كانت قائمة فى التل المعروف باسم تل بابل ، وقد كشف عن قصر بختنصر الثانى فى بيرس نمرود أو بورسيبا (Borsippa) إلى الجنوب من مدينة بابل .

وقد دلت حفريات هذا البحاثة الموفق عند تل إبراهيم على أن هذا

---

(١) هرمزد رسام Hormuzd Rassam (١٨٢٦ — ١٩١٠) عالم أشوريات . ولد بالموصل مساعد سير لايارد Layard فى بعثته الأولى (١٨٤٥—١٨٤٧) ثم درس بأكسفورد ، وأرسله المتحف البريطانى على نفقته إلى العراق ليصاحب لايارد فى بعثته الثانية (١٨٤٩ — ١٨٥١) ومن ثم تابع رسام العمل بالحفريات فى آشور (١٨٥٢ — ١٨٥٤) تحت إمرة المتحف البريطانى وسير هنرى رولنسون بالنمرود وكويونيك . وفى عام ١٨٦٦ أرسلته الحكومة البريطانية إلى الحبشة ، ولكنه سرعان مازج به فى السجن حيث بقى عامين حتى أطلق سير روبرت نابير Robert Napier سراحه بعد انتصاره ثم عاد إلى الحفريات عام ١٨٧٦ — ١٨٨٢م بآشور وخاصة بنينوى .

التل هو أنقاض مدينة قديمة تسمى كوتا إلى الشمال الشرقى من مدينة بابل كما أدى اختباره للتل القريب من (أبو حبى) سنة ١٨٨١ م إلى الكشف عن معبد الشمس المشهور بمدينة سبار (Sippar) . وهناك وجد أسطوانات للملك نابونائيد (١) آخر ملوك بابل الثانية (٥٥٥ — ٥٣٩ ق . م) وكذلك اللوحة الحجرية المنسوبة إلى نابوابال ادين (٢) ملك بابل (٨٨٥ — ٨٦٠ق .م) وكان معاصراً لآشور ناصر بعل ملك آشور . هذا بالإضافة إلى حوالى ٥٠ ألف لوحة من الآجر عليها نقوش تقص قصص هذا المعبد (معبد الشمس) .

٣ — ومنذ سنة ١٨٨٧ تمت على يدى البحاثة الفرنسى دى سارزك (٣) قنصل فرنسا فى البصرة سلسلة من الكشوف تعد ذات أهمية كبيرة ، وذلك حين قام بأبحاثه فى خرائب تلو (tello) . وقد تأكد لديه بعد البحث أن هذه البقعة هى بقايا مدينة شربولا (Shirpula) التى كانت لها منزلة عظيمة فى فجر تاريخ بابل . وفى أثناء بحوثه المتوالية المتعددة استخرج من الأرض أنواعاً من الآثار المدهشة التى كشفت النقاب عن بعض نواحى تاريخ تلك العصور البدائية . وكان بين الكنوز التى استخرجها كثير من الصور والتماثيل والزهريات الفضية ، ومكتبة تحتوى على نحو ٣٠٠٠ لوحة . وقد حصلت الحكومة الفرنسية على هذه الآثار كلها بالشراء أو غيره وأودعتها متحف اللوفر بباريس . وقد أمكن بهذا العمل معرفة ملوك لم يكونوا معروفين من قبل ، والحصول على بدائع فنية كثيرة لم يكن أحد يحلم أنها من إنتاج تلك العصور الأولى .

٤ — وقد أمكن الوصول إلى نتيجة مثل هذه على أيدى البعثة الأمريكية التى بدأت أعمالها التنقيبية بمعاونة جامعة بنسيلفانيا . وقد كانت بحوثها فى مدينة نيفر القائمة على أنقاض نيبور التى كانت مركزاً للحياة الدينية البابلية الأولى . وقد كشفت هذه البعثة أيضاً عن معبد اكور فى تلك المدينة ، وهو المعبد

(١) نابو نائيد Nabuna'id (٥٥٦ — ٥٣٩ ق . م)

(٢) نابو ابال ادين Nabuapaliddin (٨٨٢ — ٨٥٢ ق . م)

(٣) دى سارزك E. de Sarzec بدأ حفرياته عام ١٨٧٧ عندما كان نائب قنصل فرنسا فى البصرة .

الضخم الذى اشترك فى إقامة مبانيه ملوك ينتمون إلى جميع عصور التاريخ البابلى .

وفى خلال عام من أعوام نشاط تلك البعثة استخرجت بدائع فنية ومعمارية جديدة وعدد متزايد من السجلات الدينية والتاريخية حتى لقد كان بين أيدى الباحثين مايزيد على ٣٠ ألف لوحة عليها نقوش . وقد أدى بحث هذه البعثة إلى الكشف عن مكتبة معبد أكور (Ekur) ، تلك المكتبة التى أمدت الباحثين بمادة أثرية عظيمة ألقت الضوء على جميع نواحى تلك الحياة القديمة التى ظلت إلى ذلك الحين محاطة بظلام دامس كاد يشملها جميعاً .

ولقد أثارت البحوث المتوالية التى قامت بها الدول الأجنبية همة الحكومة التركية فشرعت فى اتخاذ الوسائل اللازمة لجمع الآثار القديمة من تلك البلاد ، وإيداعها متحف القسطنطينية وحفظ مااستخرج من آثار وحمايتها من التلف أو النقل إلى بلاد أخرى وللقيام بأعمال بارعة فى الأراضى الآشورية والبابلية .

وكان من نتائج التنقيب فى مدينة سبار سنة **١٨٩٣** م الحصول على عدد من لوحات من الآجر ، وكذلك على عمود عليه نقوش قيمة تنسب إلى الملك نابونائيد السالف الذكر ، وعلى نقش آخر منسوب إلى نارام سين بن سرجون الأول (٣٨٠٠–٣٧٥٠ق.م) (١) . وقد وجد هذا النقش فى أعالى دجلة ،

---

(١) نارام سين Naram Suen (وسمى فيما بعد Narasin) ملك أكد (٢٥٠٧ –٢٤٥٢ق.م) ، وقد أمكن تحديد التاريخ عن طريق أسطوانة نابونيد آخر ملوك بابل ، وأنه قد مر ٢٠٠٠ سنة بين دفن ودائع أساس نارام سين فى سيبار وبين كشف نابونيد لها عند ترميم معبد إله الشمس الذى بناه نارام سين . وقد قضت على حكمه جحافل جوكيوم رابع ملوك أسرة آكد بعد أن ثارالكهنة عليه ، فانضموا إلى الثائرين ضد حكمه . وقد عرف نرامسن بأنه أبرز أفراد أسرة سرجون منناحية توسعهالخارجى وتكوينه لأمبراطورية بعيدة الأطراف وقدسجل انتصاراته فى سبيل تأسيسها فى لوحة مشهورة معروفة بنصب النصر الذى يروى فيه أمر حروبه وانتصاراته على القبائل الجبلية (لوللوبو) سكان الجبال فى منحدر زاجروس ، وفى ماندا وفى عيلام وفى هضبة إيران (نجيب ميخائيل حـ ٥ ص ١٤٠) ، وكان يتخذ لنفسه — على تمثال عثر عليه فى سوسه — لقب ملك الأنحاء الأربعة وهو اللقب الذى كان يطلقه سرجون على نفسه — كذلك فى آسيا الصغرى واستطاع تأكيد سلطانه على سوريا الشمالية وعلى إيران معا .

وحمل إلى متحف القسطنطينية . وكانت بعثة ألمانية تعمل فى ذلك الوقت فى أنقاض بابل ، وكشفت عن كثير من الآثار القديمة .

وفى ضوء ماتقدم نستطيع القول أن الاهتمام بالكشف عن السجلات الأصلية للحضارة البابلية الآشورية لم يبلغ فى يوم من الأيام من الحدة والنشاط أكثر مما بلغ فى ذلك العصر (فى النصف الثانى من القرن ١٩) . وقد عزز هذا الاهتمام ما امتاز به الباحثون من حسن التصرف والدقة العلمية وما اسبغته عليهم تجارب الماضى من خبرة واسعة المدى ودراسة عميقة الأثر . وقد كان من شأن هذا كله أن يتشجع فريق آخر من العلماء على مواصلة البحث والتنقيب فى تلك البلاد مرة أخرى لكى تصير حياة تلك الشعوب معروفة لنا مثل حياة الإغريق والرومان ، وذلك بقدر ما تستطيع تلك السجلات الأثرية الأصيلة أن تمدهم به من أدلة ومعلومات وأخبار عن الماضى القديم .

حل الرموز البابلية الآشورية اللغوية

معرفة اللغـــــة الأكادية

بينما كان علماء الآثار جادين فى طريق الكشف عن الآثار الباقية التى خلفها البابليون والآشوريون ، كان علماء اللغات يسايرونهم فى جدهم ، ويفيدون من جهودهم ونتائج أبحاثهم فى حل الرموز اللغوية ، التى تمثلت فى النقوش القديمة التى عثر عليها فى آشور وبابل . وكان جورج فردريك جروتفند (١) ، أول من طرق باب البحث فى هذا الميدان ، فقد نشر فى سنة ١٨١٥ م ترجمة لبعض نقوش قصيرة خلفها ملوك فارس من الدولة الأخمينية . وقد كان هذا العمل سبباً مباشراً حفز السير هنرى روالنسون أبرز فحول هذا الميدان ، إلى أن يقوم ببحوث كثيرة ؛ وقد تم على يديه الكشف عن أسرار لغة آشور وبابل ولغة الفرس فى العهد الوسيط ، وبعد أن قضى ١٥ عاماً فى البحث والتنقيب ، متذرعاً بالصبر والأناة وقوة الإرادة وصدق العزيمة ، وصل إلى نتائج هامة فى هذا الصدد ؛ فقد نشر سنة ١٨٥١ مذكراته القيمة عن النقوش البابلية والآشورية ، وكانت هذه المذكرات تشمل نقش الجزء الخاص ببابل من نقش بهستون، الذى يسجل إنتصارات دارا الأول على أعدائه ، وقد كتب هذا النص بحروف لاتينية وترجمه إلى الإنجليزية .

وفى أثناء هذه المدة نفسها ، قام ثلاثة من العلماء الأعلام بأعمال مدهشة

---

(١) جورج فردريك جروتفند Georg Friedrich Grotfend (١٧٧٥ — ١٨٥٣) عالم نقوش ألمانى اكتشف أن النقوش الفارسية تحتوى ثلاثة أنواع من الكتابات المسمارية ، بحيث إن اكتشاف أحد هذه الأنواع الثلاثة يؤدى إلى اكتشاف النوعين الآخرين ، وأن الكتابة الفارسية أبجدية وليست مقطعية ، وأنه يجب أن تقرأ من اليسار إلى اليمين ، وأن هذه الأبجدية مكونة من ٤٠ حرفاً تشتمل على رموز الحركات الطويلة والقصيرة . ومن كتبه :

Neue Beitrage zur Erläutrung der persopolitanischen Keilschrift 1837
Neue Beitrage zur Erläunung der babylonischen Keilschrift 1840.

لحل هذه المشكلة ، وهؤلاء الثلاثة هم : جونز أوبرت (١) Junesoppert والعلامة الايرلندى «ادوارد هنكس»(٢) ، والبحاثة الإنجليزى فوكس تلبت(٣) وفى سنة ١٨٥٧ م تأكد العلماء من دقة أعمال هؤلاء الفرسان الثلاثة إلى أقصى حد ، وقد قام التأكد من صحة النتائج ، التى وصل إليها هؤلاء العلماء الثلاثة ، على أساس علمى واضح ؛ ذلك أن علماء اللغات عرضوا هذه النتائج لاختبار دقيق بأن جمعوا بعض نسخ من نقش منسوب إلى «تجلت بل عزرا الأول» الآشورى ، عثر عليه حديثاً ، وقدمت هذه النسخ لعلماء اللغة الأربعة الآنف ذكرهم (روالنسون ، وأوبرت ، وهنكس ، وفوكس) وطلب إليهم أن يحاولوا حل رموزها ، بحيث يعمل كل واحد منهم على حدة .

وقد قام هؤلاء بحل الرموز وترجمتها على هذا الأساس ، وبمراجعة ترجماتهم ، ومقارنة بعضها ببعض ، وجد أنها تكاد تكون متحدة تماماً ؛ ومن ثم أذاع علماء اللغة أن لغة قديمة كانت تعد لغة ميتة قد بعثت وحلت رموزها ، وأنه قد كشف عن صفحة جديدة من صفحات التاريخ القديم للنوع الإنسانى ، وأن هذا الكشف العظيم قد فتح الباب أمام الباحثين من علماء اللغة وعلماء التاريخ لدراسة تاريخ بابل وآشور على أسس علمية دقيقة .

ومنذ ذلك الحين أخذ العلماء فى أوربة ينمون الدراسات اللغوية والتاريخية

(١) جونز أوبرت J. Oppert عالم آشوريات من مدينة هامبورج ، حصل على الدكتوراه من جامعة «ليل» ؛ كان مساعداً لفرنسل فى بعثته عام ١٨٥٢ ، ويرجع له الفضل — بنقل النقوش المكتشفة وبحفرياته — فى نجاح البعثة .

(٢) ادوارد هنكس Edward Hincks (١٧٩٢ — ١٨٦٦) عالم حفريات ايرلندى توفر فى وقت فراغه على دراسة الهيروغليفية وحل رموز الخط المسمارى ، واكتشف فى نفس الوقت مع سير هنرى كرسفيك Sir Henry creswicke ، ودونما اعتماد عليه ، نظام الحركات فى الفارسية القديمة ، وقد نشر عدة أبحاث فى موضوعات آشورية ، وخاصة بنشرة الأكاديمية الايرلندية الملكية Transactions .

(٣) فوكس تلبت Talbot : اشترك مع روالنسون وهنكس وأوبرت فى ترجمة نقش لتجلات بليزر ملك آشور سنة ١٨٥٧ .

Eine Inschrift von Tiglath - Pileser, Konig von Assyrien, übersetzt von Rawlinson, Talbot, Dr. Hincks und Oppert.

وغيرها ، الخاصة بدولتي آشور وبابل ، وكان في مقدمة هؤلاء الباحثين بجانب العلماء الأربعة السابق ذكرهم : شريدر (١) الألماني ، وفردريك ديلتش (٢) ، وبول هوبت ، وسايكس الإنجليزي (٣) . وقد نهض هؤلاء العلماء بتنظيم هذه الدراسات وتسجيل النتائج التي أمكن الوصول إليها حتى عصرهم ، وبذلك نشـأ علم حديث قيم هو علم الآشوريات Assyriology الذي يشمل المعلومات المنظمة الخاصة بلغة بابل وآشور وآدابهما وتاريخهما السياسي والاجتماعي ، وعلى مر الزمان دخلت هذه الدراسة في نطاق العلوم ، وتبوأت مكانتها اللائقة بها بين العلوم الاجتماعية التي يعتد بها .

---

(١) شريدر Eberhard Schräder (١٨٣٦ — ١٩٠٨) رجل دين ومستشرق ، أصدر الكثير من المؤلفات عن النقوش الآشورية البابلية ، كانت أساساً لعلم الآشوريات .

(٢) فردريش ديلتش Friedrich Delitzch (١٨٥٠ — ١٩٢٢) : درس اللغات السامية على فلايشر ، ورحل إلى دجلة والفرات ، وقد نشر عدة كتب عن الآثار البابلية وكان قدأصبح أستاذاً للغات السامية والآشورية بليبزج وبرسلا وبرلين ، وأهم أعماله :

— Assyrische Lesestücke (1876).
— Wo Lag das Paradies (1818).
— Assyrisches Worterbuch zur gesampten bisher veröffentlichen Keilschriftliteratur (1887-90).
— Assyrische Grammatik (1889).
— Geschishte Babylonioniens u. Assyrien 1891.
— Babel u. Bibel 1902.

(٣) سايكس Archibald Henry Sayce (١٨٤٥ — ١٩٣٣) . عالم آشوريات إنجليزي ، من أهم مؤلفاته :

— Assyrian Grammar for Comparative Purposes (1872).
— Babylonian Literature (1877).
— Babylonian and Assyrians «1900».
— Archaeology of the cuneiform Insc. 1907.

المؤرخـــــون

أشهر المؤرخين الذين كتبوا فى تاريخ بابل وآشور هم اليونانيون : هيرودوت (١) ، واكتزياس (٢) ، وتيودوروس الصقلى ، واسترابون ، وابيدين وكذلك بروسوس الكلدانى ، وأبو الحسن ثابت بن قرة .

أما هيرودوت فقد ولد سنة ٤٨٤ ق . م ، وكانت رحلته إلى بابل فى عصر تدهورها ، وقد وصف فى بعض مؤلفاته ماشهد فى تلك البلاد من أبنية ضخمة وقصور شاهقة وسدود كثيرة تنظم توزيع المياه ، وقد كتب أيضاً فى تاريخ آشور ، ولكن ماكتبه فيها قد فقد ضمن مافقد من المؤلفات القديمة .

أما اكتزياس فقد استقى معلوماته عن بابل وآشور من مصادر فارسية كانت فى قصر أرتخشش الثانى (٣) امبراطور إيران من ٤١٥ — ٣٩٣ ق.م وكان اكتزياس طبيباً خاصاً لهذا الامبراطور ، ولكن ماكتبه عن آشور وبابل لايعتد به ، لأنه مأخوذ من مصادر أجنبية لايوثق بها ، وهى مصادر فارسية .

وأما تيودورس الصقلى فقد عاش ٤٢ ق.م ، وقد استقى معلوماته عن بابل وآشور مما ألفه اكتزياس السابق ذكره .

وكان ابيدين أحد الكهنة فى هيكل أوزوريس بمدينة ابيدوس فى مصر العليا وقد اطلع هنالك على بعض نقوش خاصة بتاريخ بابل وآشور ، فدون منها ما استطاع تدوينه .

والإسم الأصلى لبيروسوس هو برقوشد ، وكان بابلى الأصل ، تولى الكهانة فى معبد الالهة بعل فى بابل نفسها سنة ٢٥٠ ق.م ، وكان قد تعلم

---

(١) هيرودت Herodot (٤٨٤ — ٤٢٥ ق.م تقريباً) ، اهتم بوصف البلاد المحيطة به وكتابة تاريخها (مثل ليبيا ، وميديا ، وآشور ، وبابل ومصر) .

(٢) اكتزياس ctesias : مؤرخ يونانى (حوالى ٤٠٠ ق.م) كتب تاريخ فارس وآشور فى ٢٣ جزءاً بعنوان Persia ، والأجزاء الستة الأولى عن آشور وبابل ، حتى تكوين الامبراطورية الفارسية ، والأجزاء السبعة عشر الأخرى حتى ٣٩٨ ق.م .

(٣) ارتخشش Artaxexes II Mnemon ٤٠٥ — ٣٥٩ ق.م .

اليونانية ودرس العلوم المختلفة فى أثينا سنة ٣٤١ ق.م ، وقد أحبه أهل أثينا حتى أنهم أقاموا له تمثالا جعلوا له لساناً من الذهب .

ولبيروسوس كتاب يسمى تاريخ بابل ، اعتمد فى تأليفه على المصادر الأصلية التى وجدها فى معبد بعل وغيره ، وبخاصة الألواح التى كانت هنالك ، فوجد عليها نقوشاً ، وقد ترجم كتابه هذا إلى السريانية ، ثم إلى الإغريقية وقد فقدت الترجمتان ، وكذلك الأصل ، ولم يبق من الكتاب إلا ما اقتبسه منه بعض قدامى المؤرخين مثل يوسفوس المؤرخ اليهودى السياسى المشهور وكان معاصراً لتخريب الهيكل الثانى سنة ٧٠ م أيام طوطوس الرومانى .

وكان أبو الحسن ثابت بن قرة مؤرخاً مشهوراً بابلى الجنسية نشأ فى حران وظهر أمره فى القرن التاسع الميلادى ، وقد حذق الكلدانية واليونانية والعربية وألف بالعربية كتاباً فى تاريخ ملوك كلدان ، ولكن كتابه هذا الذى ألفه بالعربية لم يصل منه إلينا إلا بعض مقتبسات مثل كتاب بيروسوس .

نصوص من التوراة فى تاريخ الساميين

تكوين ٢١ : ١٠

«وسام أبو كل بنى عابر أخو يافت الكبير ولد له أيضاً بنون . بنو سام «عيلام وأشور وأرفكشاد ولود وأرام» .

إصحاح ١٠ أية ٢١

تعليقــات

أولا : قال النص أن سام هو أبو كل بنى عبر مع أنه أب لجميع من تناسل من أبنائه المذكورين فى الفقرة التالية مباشرة (٢٢) . وعبر هذا من أحفاد أرفكشد لأنه ابن شلح بن أرفكشد ، وعبر أيضاً هو الجد الخامس لإبراهيم لأن إبراهيم هو ابن تيرح الذى يسميه القرآن آزربن ناحور بن سروج ابن رعو بن فلج بن عبر بن شالح بن أرفكشد . وإلى عبر هذا ينسب إبراهيم فيقال إبراهيم العبرى . فالظاهر أن النص خص عبر بالذكر دون غيره من أحفاد سام لما يروى من أنه كان ناهاً ذا منزلة اجتماعية عظيمة عرفها له التاريخ .

ثانياً : عيلام اسم مملكة كانت تقع شرقى بابل وكانت عاصمتها صوصة ، وهى بلاد مجدبة تكثر فيها المرتفعات ، والمعروف أن سكانها لم يكونوا ساميين بدليل أن لغتهم كانت من النوع الإلصاقى . ويمكن القول بأنهم أدخلوا فى الساميين لما كان بينهم وبين الساميين من علاقات اجتماعية وسياسية كما سنرى فيما بعد .

ثالثاً : أما الآشوريون فكانوا ساميين لغة ونسباً ، ولغتهم قريبة الشبه تماماً بأخواتها اللغات السامية ، ومما يدل على أن الآشوريين من الفصيلة السامية أن صورة الآشورى المنقوشة على أى أثر من الآثار القديمة هى نفسها التى تمثل صورة السامى الحقيقى فى جملتها وتفصيلها ، وأنخصائص الآشوريين الخلقية والعقلية هى نفسها الخصائص التى يذكرها المؤرخون على أنها خصائص الجنس السامى .

وينسب الآشوريون إلى بلادهم آشور ، وسميت بلادهم كذلك باسم عاصمتها أى أكبر مدنها وهى آشور التى كانت تقع على مقربة من شمالى التقاء نهر دجلة ونهر الزاب الأسفل .

ويبدو أن مؤسسى آشور بلداً ومملكة كانوا قد هاجروا من بابل متجهين نحو الشمال . ومن ثم يمكن القول بأن الآشوريين شعبة من البابليين (١) ، هاجروا من بابل التى هى جنوبى العراق بعد أن ضاقت بهم . ومما يدل على ذلك التشابه بين اللغتين الآشورية والبابلية بشكل عظيم جعل المحدثين من علماء اللغة يطلقون عليهما اسماً واحداً هو اللغة لآكدية .

ولم يكن الفرق بين اللغتين يجاوز كثيراً الفرق بين لهجتين للغة واحدة يستخدمهما سكان الإقليمين المتجاورين كلهجتى شمالى مصر وجنوبها تقريباً .
وكما أخذ الأشوريون عن البابليين لغتهم أخذوا عنهم أيضاً أبجديتهم المسمارية وعلومهم وتقاليدهم الاجتماعية ، وكانت آلهة كل فريق هى عينها آلهة الفريق الآخر ماعدا إله آشور الأكبر الذى اختص به الأشوريون .

وقد حاكى الأشوريون البابليين فى بناء منازلهم من الآجر وإقامة قصورهم على ربوات مرتفعة مع أن مملكة آشور كانت بلاداً حجرية ليست فى حاجة إلى هذه الاحتياطات مثل أرض بابل التى كانت دائماً عرضة للفيضان وأخطاره

وكان كل من يأمل أو يرغب من ملوك آشور أن يكون ملكاً عظيماً له الحق فى أن يغزو بلادا غير بلاده ، ويكون له السلطان عليها يسعى فى أن يتوج فى بابل . فإن هذا التتويج فى بابل كان يخول للملك المتوج أن يمد سلطانه حتى يشمل غير سكان آشور من جيرانه . وبدون ذلك لاتكون سيطرته على ماهو خارج عن حدود بلاده أمراً شرعياً معترفاً به لدى زعماء الدين .

---

(١) البابليون : ينتسبون إلى الأموريين ، وهم شعب سامى أغار على المنطقة ، وأزال حكم السومريين ، وأسس سلسلة من الدول بالمنطقة منها دولة مارى على الفرات الأوسط ودولة لارسا وأسين فى جنوب أرض الرافدين ، ثم تصدرت إحدى الدول التى كونها الأموريون . هذه الدول جميعاً مكونة ماسمى بالدولة البابلية الأولى (١٨٣٠ — ١٥٣٠ ق.م)،وكان سادس ملوكها حمورابى العظيم .

لماذا ذكر العهد القديم الأشوريين وترك الأصل وهم البابليون؟

ولعل السبب فى إغفال ذكر البابليين فى قائمة الأنساب التى يتضمنها الفصل العاشر من سفر التكوين هو أن هؤلاء البابليين لم يكن لهم نفوذ سياسى ولا كيان اجتماعى يعتد به عند تدوين ذلك السفر ، ولم يكن سكان بابل ساميين دائماً بل إن سكانها الأقدمين كانوا ينتمون إلى شعب آخر ، ولم تكن لغة هؤلاء الأقدمين من الفصيلة السامية اللغوية بل كانت لغة الصاقية .

وقد بذلت فى العصور الأخيرة جهود علمية عظيمة أثبتت أن هذه اللغة شديدة الصلة باللغة الصينية القديمة ، وبرهنت على أن هناك صلة لغوية وشعبية بين من هاجروا من الصين شرقاً إلى البلاد الغربية التى سموها الأرض المزهرة وبين من دخلوا بلاد الكلدان قبل أن يدخلها الساميون .

فإذا صح هذا الرأى أمكن فى ضوئه معرفة السبب فى أن هذا الشعب غير السامى الذى وفد على كلديا (بابل) جاء إليها من الشرق وفى أن لغته تشبه اللغة الصينية فى كثير من خصائصها .

ومهما يكن الأمر فالثابت أن هذا الشعب الوافد هو الذى إليه لا إلى الساميين يرجع الفضل فى قيام الحضارة وانتشار الثقافة لأول مرة فى بلاد الكلدان ، ولقد كانت حضارة واسعة النطاق وثقافة عميقة الأثر من أبرز خصائصها الخط الصورى الذى نما وتهذب حتى اشتق منه الخط المسمارى الذى شاع استعماله فى بابل وآشور .

وقد كان هؤلاء الوافدون الذين يطلق عليهم الآن اسم الشومريين أسبق الناس إلى الكتابة على ألواح من الآجر ، وكانوا هم الذين أسسوا المدن العظيمة وأقاموا الهياكل الفخمة ، وأنشئوا الدراسات الأدبية والقانونية ووضعوا نظام الحكم ، وأوضحوا العقائد اللاهوتية ، ونظموا الطقوس الدينية .

وجاء البابليون الساميون بعد هؤلاء الشومريين ، فورثوا مظاهر حضارتهم وأخذوا عنهم أوضاع ثقافتهم . ولقد قامت هذه الحضارة الأولى السامية فى

الجزء الجنوبى من العراق الذى يقع شمالى ملتقى الدجلة والفرات على وجه التقريب .

ويرجع اندماج هذين النهرين وتكوينهما نهراً واحداً هو الذى يسمى الآن شط العرب إلى عصر غير بعيد ، وقد كانا من قبل مفترقين ، وكان لكل منهما فروع ، وكانت مياه الخليج الفارسى تغمر الجهات الواقعة الآن فى حوض شط العرب .

وعلى مر الزمان تجمع الطمى الذى تخلف من مياه النهرين وفروعهما ، وتكونت منه الأرض المحيطة بشط العرب كما قلنا من قبل . وقد أطلق على هذا القسم الجنوبى منذ القدم اسم كلديا أى بلاد الكلدان . وقيل فى سبب تسميتها كذلك إن أميراً اسمه كلدة وفد عليها هو وقومه فى أيام الحروب التى نشبت بين الأشوريين والأكاديين ، وكان من نسل ذلك الأمير ملك من ملوك بابل يسمى مردوخ بالادان (١) الذى كان له الفضل فى رد الأشوريين عن بابل ، فكان ذلك سبباً فى تعظيم البابليين له ومعاونته وتسمية البلاد كلها باسم جده كلدة .

وكانت كلديا (٢) تنقسم إلى مقاطعتين : الأولى فى الشمال ، وهى مقاطعة أكد ، والثانية فى الجنوب ، وهى مقاطعة شنعار أو شومر . وكانت أكد أسبق المقاطعتين إلى الخروج من أيدى الشومريين إلى أيدى الساميين الذين سموا فيما بعد البابليين ، وهم الذين أسسوا أول أمبراطورية سامية بلغت أوج عظمتها فى عهد سرجون الأول فى القرن الثامن والثلاثين قبل الميلاد كما سبق ذكره . أما المقاطعة الجنوبية ، وهى شومر أو شنعار فلم تخضع للساميين إلا فى عصر متأخر .

وكان الفتح السامى لكلديا بطيئاً استغرق زمناً طويلا وتم بطريقة الغزو المسلح تارة ، وبطريق التجارة السلمية تارة أخرى . ولم ينقرض سكان البلاد

---

(١) مردوك ايل إدين الثانى Mardukapaliddin II ، تولى الحكم عام ٧٢١ ق.م .

(١) الكلدانيون : قبائل سامية أخذت تشن الثورة على الآشوريين المرة تلو الأخرى حتى وفقت إلى الوصول إلى الحكم مكونة دولة بابل المتأخرة التى سقطت عام ٦١٢ ق.م .

الأصليون انقراضاً تاماً بل إنهم اندمجوا فى الفاتحين المغيرين عليهم ، وكانت لهم الغلبة فى بعض الجهات ، وللفاتحين فى الجهات الأخرى . وظل البابليون مدى حياتهم على بينة من هذا الامتزاج والاختلاف العنصرى . وكثيراً ما كانت الظروف تدعو إلى أن يسيطر على البلاد كلها هذا العنصر أو ذاك .

ولم يطلق اسم بابل على هذا الإقليم إلا بعد أن استولى عليه سرجون الأول فى القرن الثامن والثلاثين ق.م .

وأقام هنالك معبداً جديداً للإله مردوخ ثم أطلق على المدينة التى أقام بها ذلك المعبد اسم باب إيل ، وأصبحت فيما بعد بابل . على أنه قد ورد فى سفر التكوين (١١ — ٨ ، ٩) تعليلا آخر لهذه التسمية . فقد قيل هناك أنها سميت كذلك لأن قوماً من الأقدمين بنوا هنالك هيكلا كانوا يجلسون عند بابه للفصل فى قضاياهم ، وفيما يحدث بينهم من خلافات فسميت المدينة باسم باب إيل أى باب الله لأن ذلك هو الاسم الذى أطلقه هؤلاء القدماء على باب الهيكل .

الأمم الكبيرة فى العصـــور القديمـــة

يجدر بنا قبل أن نتحدث حديثاً تفصيلياً عن تاريخ الأمم السامية أن نذكر على سبيل الإيجاز الأمم القديمة الأخرى التى عاصرتهم ، وكان لحياتها تأثير كبير فى مجرى حياتهم ، ونبدأ هذا البحث بالإشارة إلى فقرة وردت فى سفر التكوين ١١ : ٢ نصها : «وكان فى سفرهم إلى الشرق أن وجدوا بقعة من الأرض فى أرض شنعار (١) فأقاموا هناك» .

تعليق : شنعار هى بلاد بابل ، وهى جزء من بلاد حوض دجلة والفرات يقع جنوبى مدينة بابل القديمة ، ويمتد إلى الخليج الفارسى (بحر العرب) .

والمراد بهؤلاء السائرين من الشرق إلى الغرب أبناء نوح الذين تناسلوا من سام وحام ويافث ، وكان وصولهم إلى شنعار بعد الطوفان (٢) بزمن طويل كاف لأن يتناسلوا ويكثر عددهم ، والمعروف أنهم لم يجدوا السهل المسمى بسهل شنعار خالياً من السكان ، بل إنه كان يسكنه قبلهم قوم من الناس زمناً طويلا لايعرف مقداره بالضبط ، فإن تقدير الزمن بدقة فى تلك العصور الخوالى أمر يخرج عن حدود الممكنات ، وقد استدلوا على أن هذا السهل كان آهلا من قبل بوجود آثار فوق الأرض وتحتها ، تدل على الحياة المستقرة فى تلك الجهات ، وهنا نسأل : من هؤلاء الناس الذين عرف أبناء نوح أنهم كانوا يسكنون أرض شنعار حينما هاجروا إليها من الشرق ؟

---

(١) شنعار : لعل ذلك حدث أيام «امراقل» الذى يتحدث عنه سفر التكوين أيضاً (١٤ : ١) من أنه ملك شنعار فى تلك الأيام ، وهو أمربال والدحمورابى الذى كان يجلس قبله على عرش بابل (راجع : نجيب إبراهيم حـ ٣ ص ١٨٦) .

(٢) يجمع نقاد العهد القديم على أن أسطورة الطوفان العبرية كما هى مدونة فى سفر التكوين تجمع بين قصتين متميزتين فى أصلهما ومتناقضتين بشكل جزئى ، وقد مزج المؤلف بين القصتين ليكون منهما قصة واحدة متجانسة من حيث الشكل (الفلكلور فى العهد القديم — جيمس فريزر ص ١٠٦) .

يبدو هذا السؤال سهلاً للوهلة الأولى ، ومع ذلك لم يستطع أحد الإجابة عنه حتى حوالى سنة ١٨٧٠ م أى قبل أن تكشف المكتبة الملكية فى مدينة نينوى عاصمة آشور الثانية ، على النحو الذى شرحناه من قبل .

وقد أوحى هذا الكشف العظيم الذى لم يكن متوقعاً بالإجابة عن هذا السؤال إجابة أدهشت الكاشفين أنفسهم غاية الدهشة فقد عرف حينئذ عن هذا الموضوع بعض معلومات قيمة مستقاة مما كتب أحد الكتاب الكلدان وهو بيروسوس السالف ذكره حيث يقول :

«إن بلاد بابل كانت مقراً لجموع من الناس ينتمون إلى شعوب أجنبية كانت قد أقامت فى بلاد الكلدان فترات متعاقبة قبل أن يسكنها الساميون» .

وقد ذكرنا من قبل أن بيروسوس هذا ألف كتاباً فى تاريخ بابل منذ أقدم العصور ضمنه أقدم الروايات التى رويت عن نشأة بابل ، ويبدو أن غرضه من تأليف كتابه هذا أن ينبئ سادة البلاد الجدد وهم اليونانيون ، بتاريخ تلك الأقاليم العريقة فى الحضارة التى أتوا ليستولوا عليها ، وأن يحيطهم علماً بأهلها وديانتها وتقاليدها وآدابها . وقد قلنا فيما سبق أن هـــذا الكتاب قد فقد لأن فن الطباعة لم يكن قد عرف بعد ، ولم يبق منه إلا بعض مقتطفات اقتبسها منه بعض الكتاب الذين اطلعوا عليه ، وكان هذا النص متعلقاً بالتاريخ البابلى من بين تلك المقتطفات .

ولقد كان من الطبيعى أن يسأل الباحثون بعد الإطلاع على هذا النص : من كان هؤلاء الناس المنتمون إلى شعوب أجنبية ، والذين هاجروا إلى بلاد الكلدان وأقاموا بشنعار منذ أقدم العصور ؟ ومن المؤكد أن هذا الفريق من الناس لاينتمون إلى شعب من الشعوب التى ذكرها العهد القديم ، وقال إنها تناسلت من أبناء نوح الثلاثة سام وحام ويافث .

لذا كان من المفروض أن هذا الفريق ينتمى إلى شعب أقدم من هؤلاء الذين تناسلوا من نوح ، وأن هذا الشعب لم يكن من المغرقين الذين اجتاحهم الطوفان .

وقد استنبط العلماء المحدثون من هذه الحقيقة حقيقة أخرى جديرة بالاهتمام وهى أن الطوفان الذى تتحدث عنه الآثار القديمة ، وتذكر أنه كان فى أيام نوح لم يكن طوفاناً عاماً شمل الأرض جميعاً كما قد يؤخذ من بعض عبارات العهد القديم بل إنه كان طوفاناً خاصاً مقصوراً على تلك البلاد التى كان يعرفها العبرانيون الذين دونوا التوراة ، وهى البلاد التى كان يتألف منها عالمهم الشرقى أى البلاد التى كانت تقع فى حوض دجلة والفرات وما جاورهما (١) .

وعلى هذا لاينبغى أن نفهم من رواية الطوفان فى التوراة أن جميع الكائنات الحية التى كانت على ظهر الأرض جميعها قد أهلكها الطوفان كلها ، وإنما الذى نفهمه هو أن الطوفان كان مقصوراً على جهات معينة أهلك سكانها ، ولم ينج منه إلا نوح ومن كان معه فى السفينة (٢) .

وكان قراء سفر التكوين من قبل ذلك الكشف المشار إليه يمرون على قصة الطوفان المدونة فى الفصول السادس والسابع والثامن والتاسع من ذلك

---

(١) يجمع نقاد العهد القديم على أن أسطورة الطوفان العبرية كما هى مدونة فى سفر التكوين تجمع بين قصتين متميزتين فى أصلهما ومتنا قصتين تناقضاً جزئياً . وقد مزج المؤلف بين القصتين لكى يكون منهما قصة واحدة متجانسة من ناحية الشكل (الفولكلور فى العهد القديم، جيمس فريزر ص ١٠٦) .

(٢) يقول فريزر ص ٢١٨ : «وعلى هذا النحو رأى بعض الباحثين أن يفسروا كلا من الحكاية البابلية والعبرية عن الطوفان الكبير من خلال ظاهرة الفيضانات التى يتعرض لها وادى نهر الفرات ودجلة فى كل عام بسبب سقوط الأمطار الغزيرة ، وذوبان الثلوج على جبال أرمنيا . فقد قيل إن أساس الحكاية البابلية هى ظاهرة سقوط الأمطار وموسم العواصف فى كل عام ، تلك الأمطار والعواصف اللتان كانتا تدومان عدة شهور تغرق فى أثنائها أحياء كاملة فى وادى نهر الفرات .

وقد كانت الأمطار والعواصف تسببان دماراً سريعاً يستمر حتى ينتظم مجرى نهر دجلة والفرات مرة أخرى وتحل البركة محل اللعنة عندما يحل الخصب الذى اشتهرت به بلاد بابل . وتذكرنا حكاية الطوفان العبرية بموسم بعينه حل فيه دمار ترك تأثيراً عميقاً فى النفوس . وتؤكد مقارنة الحكاية العبرية بأختها البابلية التى عثر عليها مدونة على ألواح الطين فى مكتبة آشور بانيبال وجهة نظر نشأة الحكاية محلياً .

السفر مروراً سريعاً دون أن يوازنوا بينها وبين ماورد فى نصوص أخرى من السفر نفسه ، فلا ينتهون من قراءة هذه الفصول الأربعة على هذا الوجه إلا وقد تكونت فى أذهانهم عقيدة عالمية الطوفان وعمومه . ومع ذلك فإن الأدلة التى يستندون إليها فى اعتناق هذه العقيدة ليست يقينية ، وقد كان هذا الموضوع مثار البحث والجدل ، وفتح باب البحث فيه طائفة من قدامى المفكرين بين اليهود أنفسهم وزعماء الكنيسة المسيحية وبين مؤرخى العرب .

وهنالك دليل آخر على أن الطوفان لم يكن عاماً ، ونستقى هذا الدليل من التوراة نفسها فقد ذكر فى الفصل الرابع من سفر التكوين أن قابيل لما قتل أخاه هابيل نفاه الله من الأرض التى تقبلت دم أخيـــه ، وقضى عليه أن يعيش فى الأرض ضالا تائهاً ، وقد استعملت كلمة أرض (ארץ) بدلا من كلمة (אדמה) التى يراد بها الأرض الخصبة التى تصلح للزراعة والتى كانت تقع فى شرقى عدن حيث كان آدم وحواء يعيشان بعد خروجهما من الجنة على حسب رواية التوراة . وقد استمر قابيل مهاجراً نحو الشرق حتى استقر فى جهة تقع شرقى عدن أطلق عليها أرض نود أى أرض الظلام والتشرد وهنالك ولد له سماه حنوخ (חנוך) وباسمه سميت أول مدينة بناها هو وأحفاده وكان رابع أحفاده يسمى (למך) لامخ . وقد عرف بأنه كان قاسياً شريراً متمرداً لا يأبه بقانون ولا يعتد بنظام ، وقد ولد له ثلاثة أولاد هم (יבל) يافال ، و (יובל) يوفال ، و (תובל קין) توفال قين .

وقد سلك الأول يافال مسلك الرعاة ، وعاش عيشة البدو الرحل ، وسلك الثانى مسلكاً موسيقياً فكان زعيماً لكل ضارب بالعود أو نافخ فى المزمار ، أما الثالث فقد تعلم طرق المعادن فكان حداداً يصنع من الحديد والنحاس أنواعاً من الأدوات الحادة القاطعة .

وينتهى الفصل الرابع من سفر التكوين بانتهاء هذه القصة عند هذا الموضع

ولا نسمع شيئاً مطلقاً بعد ذلك عن ذرية حنوخ بن قابيل . ويبدأ الفصل الخامس من السفر نفسه بالعودة إلى قصة آدم وحواء . ويذكر أنه قد ولد لهما ابن ثالث سمى شيث ، وهو الجد الأكبر لنوح ، (لأن نوح بن (לֶמֶךְ) لمخ ، ولمخ بن مينوشلح بن حنوخ بن يارد (יֶרֶד) بن مهلك إيل بن قينان (قينين) بن أنوش بن شيث) .

ومن ثم نعلم أن ذرية آدم انقسمت طائفتين طائفة مخذولة مطرودة من رحمة الله ، قضى عليها بالتشرد . وقد أهمل العهد القديم تتبع قصة حياتهم ، وهم المتناسلون من قابيل قاتل أخيه هابيل .

وطائفة محبوبة مقربة إلى الله تسبح باسمه ، وتسلك مسلك الصلاح والتقوى .

وقد تتبعت التوراة قصتها بالتفصيل حتى وصلت إلى نوح الذى يوصف بأنه رجل عادل كامل مستقيم رعته عين الله وشملته عنايته .

ثم تتحدث الفصول ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ من سفر التكوين عن قصة الطوفان التى تنتهى بنجاة نوح ومن معه فى السفينة كما سبق .

ويتحدث الفصل العاشر من هذا السفر عن الشعوب التى تناسلت من أبناء نوح الثلاثة ، وفى بداية الفصل الحادى عشر نجد العبارة السابق ذكرها التى يستفاد منها أن من تناسلوا من أبناء نوح الثلاثة لما وصلوا إلى شنعار عرفوا أنها كانت تسكن بفريق من الأجانب لا يمت إليهم بصلة .

ونعود فنسأل من كان هؤلاء الأجانب ؟ يجيب المؤرخ المشهور راجزين (Ragzin) فى كتابه القيم الذى ألفه فى تاريخ الكلدانيين بأن هؤلاء كانوا من ذرية آدم من ابنه قابيل الطريد .

وهذا المؤرخ ومن تبعه يفرضون أن أبناء قابيل انفصلوا من ذرية آدم أبناء شيث المرضى عنهم ، وهاموا فى الأرض وتشتتوا فى أنحائها ، وكثروا

وتناسلوا حتى بلغوا الجزء الشرقى من آسيا . وكان منهم جنس بشرى عظيم هو الجنس الطورانى الذى ينتمى إليه الجنس الأصفر .

فى ضوء هذا نصل إلى نتيجتين هامتين هما :

أولا : أن طوفان نوح لم يكن عاماً . إذ أنه لم يشمل الجنس الأصفر المتناسل من ذرية قابيل كما يرى راجزين ومن تبعه .

ثانياً : أن سكان شنعار الذين كانوا بها قبل أن يصل إليها أبناء نوح كانوا من الجنس الطورانى المنتمى إلى الجنس الأصفر .

ويفترض هذا العالم ومن تبعه أن فريقاً من الطورانيين انفصلوا عن بنى جنسهم بسبب ما ، وظلوا مهاجرين من الشرق إلى الغرب مارين ببلاد الهند وتاركين فيها بعض آثارهم .

وقد دلت الأبحاث الحديثة على أن الآثار التى خلفها السومريون الذين كانوا يسكنون بابل قبل الساميين قد تركوا شنعار آثاراً مطمورة تحت الأرض تشبه فى أشكالها وأوضاعها آثاراً عثر عليها فى شمالى بلاد الهند .

الجنس الطــــورانى

لم يرد فى التوراة مطلقاً ذكر للجنس الأصفر الذى ينتمى إليه الطورانيون مع أن المؤرخين يجمعون على أنه جنس من الأجناس البشرية مغرق فى القدم وعلى أنه كان كثير العدد جداً حتى لقد قيل إن عدد أفراده قد بلغ فى عصر من العصور مثل عدد سائر الأجناس البشرية مجتمعة .

وينتمى إليه ما يسمى بقبائل يأجوج ومأجوج . ويظهر أنهم لكثرة عددهم انقسموا قبائل وشعوباً متعددة كان يجمعها كلها اسم القبائل أو الشعوب الطورانية (١) نسبة إلى طور ، وطور هذا يظن أنه اسم جدهم الأكبر ، وهو اسم أطلقه عليهم الشعوب المنتمية إلى الجنس الأبيض التى كانت تسكن إيران وأواسط آسيا . ولايزال لهذا الاسم أثر باق فى اسم أحد الشعوب المنتمية إلى هذا الجنس وهو الشعب التركى الذى يوصف بأنه طورانى الأصل .

---

(١) الطورانية : أطلق ماكس موللر Max Mueller ، وبونسن فى كتابهما : Outline of the philosophy of Universal history : اسم اللغات الطورانية على طائفة من اللغات الآسيوية والأوربية التى لاتدخل تحت فصيلة من فصائل الهند وأوربية أو السامية الحامية ، فهى ليست فصيلة بالمعنى الصحيح . ولذا عدل علماء اللغة المحدثون عن استعمال هذا الاصطلاح . كذلك نجد أن رينان (Renan) وهو معاصر لماكس موللر قد رفض الأخذ بنظريته بصدد اللغات الطورانية ، ووجه إليها نقداً لاذعاً فى كتابه أصول اللغة ص ٤٠
V. Renan, L'Origine du Langage, p. 40.

وقد ذكر بحث ماكس موللر فى كتاب بونسن السالف الذكر بعنوان :
Letter on the Classification of the Turanian Languages ويمكن أن يكون المعنى هنا فصيلة اللغات الآسيوية القديمة . وهى مجموعة لغات آسيوية قديمة غير سامية ولاهندية أوربية ، كان يتكلم ببعضها فى ميزوبوتاميا وآسيا الصغرى ، وفى المناطق المتصلة بها من حوض البحر الأبيض وبعض أجزاء إيطاليا . ومن أهمها السومرية التى كان يتكلم بها شعب يسكن حوض الفرات بقرب فارس ، ونقل عنهم الأكديون طريقة كتابتهم . (راجع د. على عبد الواحد وافى : علم اللغة ص ١٧٩) .

الصفات المميزة للطورانيين :

قد كان للقبائل المختلفة المنتمية إلى الجنس الأصفر بعض صفات مشتركة بينهم وقد كانوا يمتازون بما يلى :

أولا : عدم القدرة على التطور الاجتماعى ، والوصول إلى درجات عليا من الثقافة .

ثانياً : لغتهم كانت ولاتزال ناقصة لأنهم كانوا يستخدمون لهجات تتكون كل منهما من كلمات كل كلمة عبارة عن مقطع واحد ، ولذلك تسمى هذه اللهجات ، اللهجات ذوات المقطع الواحد كما فى اللغة الصينية ، وتوضع هذه المقاطع بعضها بجانب بعض دون أن يكون لها رابط يربطها ، ولذا تسمى اللهجات الإلصاقية (Agglutinative) كما فى اللغة التركية .

ثالثاً : الطورانيون أول من اخترعوا الرموز الكتابية التى نشأت عنها الخطوط المسمارية ، ولكنهم وقفوا عند هذا الحد ، واكتفوا بوضع رمز لكل مقطع أو كلمة كما فى الخط الصينى . فكل كلمة فى هذه اللغة تعتبر رمزاً لمعنى واحد ، وتتكون المفردات اللغوية من مجموع هذه الرموز التى يختلف بعضها عن بعض ، وقد بلغ عددها فى اللغة الصينية نحو ٤٠ ألف رمز .

وقد بدأ الطورانيون يكتبون الشعر الجميل ، ولكنهم لم يجاوزوا هذه البداية البدائية . ويرجح أيضاً أنهم أول من أقاموا المبانى وشيدوا المدن ، ولكنهم قد أعوزتهم الصفات الضرورية لبناء حياة اجتماعية وحكومة سياسية على أسس ثابتة .

موطنهم :

وقد كان الطورانيون يسكنون الجزء الأكبر من شرق آسيا وشمالها الشرقى ، وظلوا هناك أجيالا وقروناً متعاقبة قبل أن يفد إليهم وافدون من الجنس الأبيض القريب ، وتقدر هذه المدة فى نظر الثقات من المؤرخين بنحو ألف وخمسمائة عام . وقد كان القدماء يصفونهم بأنهم أقدم الأمم ،

ولكنهم مع ذلك قد انقرضوا ، ولم يبق لهم أثر فى تلك الجهات كما لم يكن لهم كيان سياسى بعد أن اقتحم الجنس الأبيض بلادهم وأخضعوهم لسلطانهم أو طردوهم منها أو امتزجوا بهم تمام الامتزاج مع بقاء سيطرة الجنس الأبيض عليهم بحكم امتيازه وقوة شكيمته وظهور عبقريته .

ولاتزال بقية من الطورانيين الأصليين منتشرة فى سيبيريا وسائر شرقى روسيا تجوب القفار والوديان ومعها قطعانها من الخيل والغنم وتلقى رحالها فى بعض تلك الجهات حيث يطيب لهم المقام .

ويعتقد أن هؤلاء فريق من الطورانيين طوح بهم الدهر ، ومع ذلك لايزالون محتفظين بنواحى قصورهم وعدم قدرتهم على النهوض إلاإذا امتزجوا بغيرهم من الجنس الأبيض المثقف كما هى الحال فى الهنغاريين الذين يعانون من أرقى الشعوب الأوربية وأشدها إقداماً ، وأقواها عقلية .

ومن المحتمل أن الفنلنديين ،سكان فنلندا المجاورة لروسيا كانوا من أصل طورانى ، وأن الفريق المهاجر المتنقل فى البلاد الأوربية الذين يسمون جيبسس (Gypsis) — الغجر — ينتمون إلى هذا الجنس الطورانى أيضاً .

وليس معنى هذا أن الجنس الأصفر قد حرمه الله نعمة الذكاء والعبقرية الأصيلة ، فإذا كان الجنس الأبيض قد عرف بالنشاط والسعى إلى الحصول على السيطرة فى كل مكان ، والحرص على نقل مظاهر المدنية والحضارة من غيره من الأجناس وتحسينها فإن الجنس الأصفر له الفضل الأول فى بدء الحضارة وابتكار المدنية التى أخذها عنه غيره من الأجناس .

ومن المعروف أن بدء الحضارة وابتكارها أصعب وأعلىٰ منزلة من نقلها وتحسينها .

ومن الحقائق المقررة فى التاريخ القديم أن العبرانيين وغيرهم من الساميين وذرية نوح بوجه عام كانوا يجدون حيثما ذهبوا فى طريق الغزو والفتح أن طائفة أخرى من الناس قد سبقتهم ، وشيدت فى البلاد المغزوة معالم المدنية التى تستدعى الاعجاب . وكثيراً ماكان الوافدون عليهم يمتزجون بهم ويكونون

معهم مجتمعاً جديداً ، ويفيدون من تقدمهم المدنى كما كانت الحال بالنسبة للبابليين الساميين الذين أخذوا الكثير من المظاهر الحضارية واللغوية عن السومريين ، سكان بابل من قبلهم ، ولقد قلنا من قبل أن السومريين ينتمون إلى الطورانيين .

الجنس الأســـود

هذا جنس آخر من الأجناس البشرية القديمة كان يسكن مجاهل أفريقيا إلى الجنوب والجنوب الغربى من مصر . وقد أهملت التوراة ذكره كما أهملت ذكر الجنس الأصفر الطورانى وأخرجتهما من مجموعة الشعوب التى كان يتكون منها العالم العبرى .

ويصعب أن نتصور أن بنى إسرائيل لم يعرفوا شيئاً عن الجنس الأسود ، فقد أقاموا بمصر ثلاثة قرون أو أكثر ورأوا بأعينهم كثيرين ممن يمثل الجنس الأسود إذ أنه من الثابت أن المصريين القدماء كانوا يحاربون النوبيين والأحباش السود الذين كانوا يسكنون بجوارهم ، ويجلبون ألوفاً مؤلفة من الأسرى من تلك الجهات ، ويحملونهم على العمل فى بناء الأهرام وفى قطع الأحجار مع بنى إسرائيل من المحاجر .

ويبدو أن العبرانيين لم يتحدثوا حديثاً تفصيلياً عن الجنس الأسود إما لأنهم قد نظروا إلى القبائل المنتمية إليه نظرة استصغار واحتقار ، وعدوهم من البرابرة البدائيين الذين لم تكن لهم منزلة ثقافية ولاكيان سياسى يجعلهم جديرين بأن يدخلوا فى عداد الأمم التى تستحق الذكر أو لأن اليهود لم يكونوا على علم تام بمجاهل أفريقية التى كان يسكنها الجنس الأسود والتى ظلت مجهولة حتى لدى غير اليهود من الأمم فى تلك العصور الغابرة كما لم يكونوا يعرفون شيئاً عن الجزء الشرقى من آسيا ولاعن الجزر الواقعة جنوبى الهند ولاعن استراليا وجزرها ، وقد كانت هذه جميعاً أوطاناً لطوائف مختلفة تنتمى إلى الجنس الأسود .

أنساب الشعوب كما هى فى الفصل العاشر من سفر التكوين

يقص علينا هذا الفصل الشعوب التى انحدرت من أولاد نوح الثلاثة سام وحام ويافث الذين منهم تشعبت الأمم وانتشرت فى الأرض بعد الطوفان . والحق أن هذا الفصل يعد فى نظر مؤرخى التاريخ القديم أقدم وأهم وثيقة تاريخية تعرض لنشأة الأمم وتذكر قائمة أنسابهم على حسب ما كان يعرفه العبرانيون عند تدوين العهد القديم ، وبخاصة القسم الأول منه وهو التوراة فى «منتصف القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد» . وتتضمن هذه القائمة أسماء الشعوب الذين اتصل بهم اليهود فى مستهل حياتهم السياسية أو على الأقل جميع الشعوب الكبرى التى تنتمى إلى ذلك الجنس الإنسانى العظيم الذى يوصف بأنه الجنس الأبيض .

ولكى نفهم هذا الفصل على الوجه الصحيح يجب أن لاننسى أن كل اسم فى قائمة الشعوب التى يذكرها تدل على شعب أو أمة أو قبيلة لا على رجل واحد ، فقد كانت عادة المشارقة القدماء أن يُسمُّوا كل طائفة أو شعب من الناس توطدت بينهم علاقة النسب والمصاهرة باسم معين يشيع بين الطائفة نفسها وبين غيرها من الطوائف. وقد شاع بين القدماء فى عصر الجهالة الأولى أن كل اسم من هذه الأسماء يدل على الجد الأكبر مؤسس القبيلة أو الشعب . وعلى هذا الأساس سمى الشعب الآشورى مثلا باسم آشور ، وإذا سئلوا عن منشأ هذه التسمية أجابوا بأن مؤسس هذا الشعب أوجده الأكبر رجل اسمه آشور ، وكذلك سمى الآراميون بهذا الاسم لأن جدهم الأكبر كان اسمه آرام ، وسمى العبرانيون كذلك نسبة إلى جدهم عبر .

وكانت هذه الأمم الثلاثة : الأشوريون والآراميون والعبريون وبعض أمم أخرى كالعرب يتكلمون بلغات متشابهة جداً لدرجة أن بعضهم كان يفهم مايقوله البعض الآخر بسهولة ، وكان لهذه الأمم مظاهر ومميزات جسمية وعقلية وخلقية مشتركة بينهم .

وقد أدرك القدماء من المؤرخين هذا التشابه فى اللغات والصفات فأخذوا يبحثون عن السر فى ذلك ... فكان الجواب فى عرفهم أن مؤسسى هذه الأمم كانوا أخوة أو ذرية انحدرت من أصل واحد ، وهو جدهم الأعلى سام ابن نوح ، ولذا أطلق عليهم اسم الساميين . ولايزال هذا التعليل موضع جدل ونقاش بين الباحثين من المحدثين ، ولكنه مع ذلك تعليل مقبول إلى حد ما مادمنا نعرف السر فيه ، ومادمنا نفكر فى الموضوع بعقلية القدماء الذين كانوا فى مقدمة من بحثوا فى الموضوع وفكروا فيه .

ومن الممكن أن نترجم هذا الكلام إلى اللغة العلمية الحديثة الدقيقة ، فنقول على وجه الإجمال إنه قد عاش فى قديم الزمان أمم أو طوائف كبيرة من الناس امتازت بصفات مشتركة بين أفرادها ، وتكلمت بلغات بلغت أقصى درجات التشابه . وقد أطلق على هذه الأمم منذ أواخر القرن الـ١٨ اسم الأمم السامية كما أطلق على مجموعة اللغات التى كانوا يتكلمون بها اسم اللغات السامية (١) . فالجنس السامى إذن يتألف من عدة قبائل أو أمم سلك كل منها مسلكها الخاص ، وكان لها تاريخها وكيانها السياسى واسمها المختص بها ، وتكلمت بلغات انحدرت من أصل لغوى واحد ، وشاعت بينها تقاليد وأفكار بعينها ، وكانت لها صفات جسمية وعقلية وخلقية مشتركة . وكل هذا يدل على أن هذه الأمم انحدرت من أصل معين من الأصول البشرية أطلق عليه الشعب السامى الأصلى (Proto Semitic Race) ، وكانت هذه الطائفة تسكن بقعة واحدة من الأرض ، وتخضع لنظام اجتماعى واحد ، وتتكلم بلغة واحدة تقريباً ، وأطلق عليها اللغة السامية الأصلية (Proto Semitic Language) .

---

(١) التسمية باللغات السامية ومنشؤها :

أول من أطلق هذه التسمية المستشرق الألمانى شلوتزر Schloezer سنة ١٧٨١ م بعد أن لاحظ أن معظم الشعوب والأمم التى تتكلم هذه اللغات من أولاد سام بن نوح . ومازلنا نحتفظ بهذه التسمية بالرغم من أن العلم قد أثبت أنها ليست صحيحة تماماً ، وقدلاحظ المستشرق نولدكه Noeldeke فى كتابه اللغات السامية (Die Semit. Sprachen) أن سفر التكوين قد رتب الأمم على اعتبارات سياسية وثقافية وجغرافية ، لا على ظواهر لغوية أو تاريخية .

(راجع قواعد اللغة العبرية ص ٤ وما يليها) .

فلما زاد عدد أفراد هذه الطائفة وتكاثر نسلهم ضاقت بهم الأرض، فرحل عنها فريق منهم تبعه آخر وهكذا . وبذلك انقسمت الطائفة الكبيرة إلى طوائف صغيرة ارتفع شأن بعضها وصارت فى عداد الأمم العظيمة ، وبقى البعض الآخر فى حالة قبلية بدائية ، وسميت الطوائف التى ارتفع شأنها ، وبرز مركزها فى التاريخ «الأمم السامية» . وماقيل فى هذا الفريق من الناس الذى انحدر من سام يقال فى الفريق الثانى الذى يسميه المؤرخون الجنس اليافثى نسبة إلى يافث بن نوح ، وهو الجنس الذى ينتمى إليه جميع الأمم الأوربية تقريباً ، ومثل هذا وذاك يقال فى الفريق الثالث الذى يوصف بأنه الجنس الحامى الذى ينسب إلى حام . وعلى هذا النحو نستطيع أن نفهم الفصل العاشر من سفر التكوين كما فهمه القدماء من العلماء وآباء الكنيسة المسيحية ، وفى مقدمتهم القديس (Augustine) الذى كان فى القرن الميلادى الأول وإليه تعزى عبارة صريحة فى هذا الموضوع فقال :

«إن قائمة الأنساب فى الفصل العاشر من سفر التكوين تمثل أمماً وشعوباً لا أفراداً» .

نظرة نقدية فى قائمـــة الأنساب فى الفصـــل العاشر من سفر التكوين

أولا : تذكر هذه القائمة من بين أبناء سام «عيلام ولود» ، مع أن العيلاميين واللوديين لم يكونوا يستخدمون لغات أو لهجات تشبه ماكان يتكلم به سائر الساميين من لهجات ، وإنما كانوا يتكلمون بلغات تنتمى إلى فصيلة لغوية أخرى ربما كانت الفصيلة الهندية الأوربية . ويبدو أن هؤلاء أدخلوا فى الساميين لأنهم كانوا مجاورين لهم ، فقدكان العيلاميون فى الجهات الشرقية من الوطن السامى ، وكان اللوديون فى الشمال الشرقى من هذا الوطن ، ولذا كان هؤلاء وهؤلاء على صلة تجارية واجتماعية وثيقة بهم .

ثانياً : لم تذكر هذه القائمة من بين الأمم التى ذكرتها الجنسين الأصفر والأسود اللذين سبق الكلام عليهما ، ولعل السبب فى ذلك هو ماذكرناه من قبل ، وهو أن تدوين التوراة قد تم فى عهد لم يكن فيه العبرانيون على علم تام بالجنس الأصفر ، فأهملوا ذكره كما أهملوا ذكر المنتمين إلى الجنس الأسود للسبب نفسه أو لأن كتاب التوراة لم يروا أن شعوب الجنس الأسود يستحقون أن يكونوا فى عداد الشعوب الراقية التى حظيت بشرف الذكر فى كتابهم المقدس .

ثالثاً : إن هذه القائمة لم تذكر من الشعوب الأوربية إلا الإغريق الذين هم من أصل(؟ ؟ ؟) أحد أبناء يافث ،أما غير الإغريق من الشعوب الأخرى التى تنتمىإلى الجنس اليافثى فلم يرد لها ذكر فى هذه القائمة كالألمان والأسبان والطليان والروس وغيرهم .

ولكن هذه الأمم لبعدها عن عالم العبرانيين لم تكن معروفة لديهم ولم تكن لهم بها أدنى صلة من أنواع الصلات الاجتماعية ، ومثل ذلك يقال فى الهنود والفرس الذين ينتمون إلى الجنس نفسه ، وكانوا يحيطون بعالم العبرانيين فى بعض عصورهم التاريخية .

ومن المعروف أن العبرانيين لم يتصلوا بالفرس فحسب بل كانوا من رعاياهم فى بابل عينها حينما استولى كورش عليها فى أواسط القرن السادس ق.م ولكن تلك الصلة لم يكن لها وجود عند تدوين سفر التكوين أو يمكن أن يقال إن الكاتب لهذا السفر أدخلهم فى شعب آخر كانت له بالفرس صلة قرابة وجوار ، ذلك هو الشعب الميدى الذى يسميه كاتب السفر باسم مادى ، ويجعله أحد أولاد يافث .

بين القـــديم والحديث فى نشأة الساميين

عرفنا مما تقدم أن قدماء المؤرخين كانوا يقسمون الأجناس البشرية إلى ثلاثة أجناس رئيسية هى :

١ — الجنس السامى .　　　　　　٢ — الجنس الحامى .

٣ — الجنس اليافثى .

وذلك نسبة فى رأيهم إلى أبناء نوح الثلاثة سام وحام ويافث على حسب ماورد فى الفصل العاشر من سفر التكوين . وقد قرروا أن أى جنس آخر لابد أن يكون متفرعاً من أحد هذه الأجناس الثلاثة أو من اثنين منهما أو من ثلاثتهما يقصدون بذلك أن جميع سكان الكرة الأرضية هم من نسل نوح ،وقد بنوا رأيهم هذا على مايستفاد من التوراة من أن الطوفان الذى حدث فى عهد نوح كان طوفاناً عاماً شمل الأرض جميعاً . وهذا الرأى الذى يستند إلى مصدر دينى يتضمن حقيقتين هامتين هما :

أولا : أن جميع لغات العالم انحدرت من لغة واحدة هى اللغة التى كان يتكلم بها أبناء نوح بعد الطوفان .

ثانياً : أن جميع الشعوب البشرية التى تسكن جميع أنحاء الأرض قد انحدرت من أصل واحد هو نوح .

وكان هذا الرأى الدينى موضع قبول من الباحثين فى أثناء القرون الوسطى (٤٧٦ — ١٤٥٣ م) .

وجاء عصر إحياء العلوم والمعارف فى مستهل العصور الحديثة التى تقدمت فيها العلوم الطبيعية ، وانتشرت المباحث البيولوجية ، وتعددت المصادر التاريخية بالنقوش وغيرها من الآثار التى خلفها القدماء فتغيرت وجهة الباحثين فى هذا الموضوع ، وأخذوا يبحثون بحثاً جديداً فى تلك المشكلة الكبرى مشكلة خلق العالم ونشأة النوع الإنسانى فى ضوء العلم الحديث ، وأقبلوا يحاولون حل هذا اللغز الذى أعجز السابقين عن حل يتفق وجميع

الحقائق التى أثبتها العلماء على اختلاف طبقاتهم من جيولوجية وجغرافية ونسبية واجتماعية ونفسية وغيرهم .

وكان من نتائج تلك البحوث وتطبيق هذه المعلومات الحديثة على تلك القصة المذكورة فى التوراة أن أنكر فريق من العلماء هذه القصة من أولها إلى آخرها ، وعدوها من الأساطير الموضوعة والأحاديث المختلفة التى وضعها قدماء القصاصين من الأمم السامية وخاصة بنى إسرائيل ثم أخذوا يعلنون آراءهم التى تخالف ماورد فى تلك القصة النقلية فى جملتها وتفصيلها .

وغالى هؤلاء فى اعتقادهم فقالوا أنه لم يوجد طوفان أصلا ، وقرروا أن الإنسان لم يخلق خلقاً مستقلا ، ولم يوجد فى بقعة واحدة من الأرض ولكنه نشأ على مر القرون الطوال بطريق التطور والترقى ، وكان أصله حيواناً من فصيلة القردة هو أشبه مايكون بالشمبانزى أو الغوريلا أو أى حيوان آخر انقرض ، فكان الحلقة المفقودة من السلسلة الحيوانية التى يعد الإنسان أرقاها وأعلاها وآخرها .

ثم قالوا إن أفراداً وجماعات من النوع الإنسانى وجدت فى أنحاء كثيرة من الأرض قبل الحادثة المزعومة بآلاف السنين غير أن بعض هذه الجماعات انقرض ولم يبق إلا أثره ، وبعضها الآخر بقى واتبع طرقاً من طرق النمو والتطور ، وتنقل من مكان إلى مكان آخر ثم تفرع إلى أجناس مختلفة تبعاً لاختلاف ظروف الحياة ونواميس الاجتماع ومقتضيات البيئة التى أدت إلى تفاوت أجناس الإنسان فى التقدم واختلافهم فى ألسنتهم وألوانهم وصفاتهم الجسمية ومميزاتهم العقلية ومعتقداتهم الدينية وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية .

وقد تم بناء هذا المذهب على يد شارلز داروين الفيلسوف الإنجليزى الذى مهر فى العلوم الطبيعية ، وأثار فى العالم المتمدين عاصفة من البحث والجدل فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى حتى أغضب علماء الدين ، ومن ذهب مذاهبهم فانبروا ينقدون رأيه ، ويبطلون مزاعمه ، فتصدى هو للرد عليهم وساق كثيراً من الأدلة العقلية والواقعية للبرهنة على صحة مذهبه وتبعه كثير من علماء الطبيعة .

غير أن فريقاً من العلماء الذين يحرصون على القديم هبوا يقولون إن كل أسطورة لابد أن يكون لها أصل تاريخي تستند إليه ، وإن قصة خلق العالم كما ذكرت في سفر التكوين ، وفي بعض آثار بابل القديمة ، على فرض أنها غير مقبولة في تفصيلها ، لابد أن تنطوي على شيء من الحقيقة . وعلى هذا الأساس أخذوا يوفقون بين المذهبين الديني والعلمي ، وأقبلوا يؤولون ما يقبل التأويل من النصوص المدونة في الكتب المقدسة خاصة بهذا الموضوع . وانتهى بهم الأمر إلى أن قرروا أن حادثة الطوفان المروية في سفر التكوين حصلت بالفعل ولكنها كانت حادثة محلية . ويُرَجَّح أن منشأها هو فيضان دجلة والفرات وما يتصل بهما من نهيرات فيضاناً خارقاً للعادة ، ولأن هذه الحادثة كانت هائلة مروعة لم يعهد لها التاريخ نظيراً من قبل . فقد أثرت في نفوس من نجوا من شرها تأثيراً بليغاً فبقيت في ذاكرتهم ، واستمر ذكرها على ألسنتهم ، ونقلها عنهم خلفهم من بعدهم مع شيء من التحوير والمبالغة ، وبقيت تتداولها الأجيال والقرون المتعاقبة حتى أتى العصر الذي دونت فيه صحف التوراة حوالي منتصف القرن التاسع ق. م . فدونت القصة على ما كانت عليه كما كان الناس يذيعونها في تلك العصور الخالية بعد أن أضيف إليها ما أضيف وحذف منها ما حذف على مر السنين والأجيال والقرون .

أما قائمة الأجناس المذكورة في التوراة فإنها لم تستوعب جميع الأجناس التي كانت منتشرة على سطح الأرض ولم تذكر إلا من عرفهم الإسرائيليون من العالم القديم في عصر تدوين التوراة أيام أن كانت القارات الأخرى مجهولة ، وكانت صلة الناس بعضهم ببعض محدودة . فهذه الآراء الثلاثة في الموضوع هي إذن :

١ — الرأي الديني القديم .
٢ — الرأي العلمي المتطرف .
٣ — الرأي العلمي الموفق بين الرأيين السابقين .

وليس من الضروري أن نذهب بعيداً عن الموضوع ، فنفرض آراء المؤرخين والعلماء في قصة تكوين الكرة الأرضية والأجرام العلوية أو نبين

كيف نشأ الحيوان والنبات على سطح الأرض ، وفى أعماق البحار أو نفضل المراحل المختلفة التى سلكتها الفصيلة الحيوانية ، ومنها الإنسان أو أن نثير مرة أخرى ذلك الجدل الذى شغل علماء الطبيعة وعلماء الدين مدة طويلة من الزمن فى القرن الماضى . فإن هذه الأمور يرجع فيها إلى مراجعها المطولة الخاصة بها .

غير أنه من المهم والمفيد لنا فى بحثنا هذا أن نذكر أن أحدث الآراء المستنبطة من العلوم التى تبحث فى شئون الإنسان يستفاد منها أن النوع الإنسانى بعد أن مر على نشأته وتطوره آلاف السنين امتاز من غيره من الفصائل الحيوانية ، وصار فصيلة مستقلة لها مميزاتها الجسمية والعقلية والخلقية والاجتماعية ثم انقسم على أساس اختلاف بنيته واختلاف ألوان بشرته إلى أربعة أقسام رئيسية هى :

أولا : الجنس الأبيض : الذى يوصف أحياناً بأنه الجنس القوقازى ، وقد انتشر منذ آلاف السنين فى أوربا ثم فى حوض البحر المتوسط الشمالى والجنوبى وغربى آسيا .

ثانياً : الجنس الأصفر : الذى يوصف بالجنس المغولى أو الطورانى ، وقد انتشر فى شرقى آسيا وفى بعض جهات أمريكا .

ثالثاً : الجنس الأسود : الذى يوصف بأنه الجنس النوبى ، وقد انتشر فى أفريقيا واستراليا .

رابعاً : جنس رابع : ليست له مميزات خاصة بارزة ، كان يسكن بعض جهات استراليا وغينيا الجديدة .

وهذا التقسيم تقريبى ، وليس معناه أن هذه الأجناس عاشت مستقلة بعضها عن بعض بعيدة عن الاختلاط بغيرها .

والذى يعنينا من هذه الأجناس الأربعة هو الجنس الأبيض القوقازى الذى يقسمه العلماء إلى ثلاثة أقسام فرعية هى :

١ — الجنس الأصهب الشمالى .

٢ — الجنس الأسمر الجنوبى .

٣ — جنس بين هذين الجنسين .

ومن بين هذه الشعوب التى تنتمى إلى الجنس الأسمر الجنوبى المنتشر حتى الآن فى جنوبى آسيا الغربى وعلى سواحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبية شعوب خاصة اصطلح المؤرخون منذ القدم على أن يسموها الشعوب السامية .

تحديد موطن الساميين الأول

لقد كانت هذه الشعوب السامية حين عرفها التاريخ تسكن الجزء الغربى الجنوبى من آسيا الذى يحده من الشمال جبال طوروس وأرمينية ، ومن الشرق جبال كردستان وخوزستان ، وحوض دجلة والخليج الفارسى ، ومن الجنوب المحيط الهندى الذى يسمى أحياناً بحر العرب ، ومن الغرب البحر الأحمر والأبيض المتوسط . ولم يخرج الساميون عن هذه البقعة المحدودة بتلك الحدود إلا بعد الاستعمار الفينيقى ، والهجرة إلى الحبشة بطريق بوغاز باب المندب ثم الفتح العربى الإسلامى .

مميزات الأمم السامية :

للأمم السامية مميزات خاصة بارزة ، وتاريخ ممتلئ بالحوادث ، وآثار اجتماعية لاتزال تذكر من بين المآثر الظاهرة التى ساعدت على الرقى الإنسانى وعملت على النهوض بالعقلية البشرية . ومن مميزاتهم ماهى جسيمة ، وماهى عقلية وخلقية . أما المميزات الجسمية فأهمها سمرة البشرة واستطالة الرأس وسواد الشعر وغزارته واسترساله أو تموجه وتوسط القامة مع ميل إلى الطول أحياناً وعرض الأنف مع تقوسه إلى أسفل وغلظ الحاجب والشفتين والذقن وقوة البنية وقلة التوعك .

وكان البابليون والآشوريون والفنيقيون وبنو إسرائيل يعرفون بالضخامة والسمن . أما العرب والسوريان فقد عرفوا بالنحافة ، وكان الإسرائيليون يشبهون الكنعانيين فى كثير من الوجوه لامتزاج الشعبين ، ومصاهرة بعضهم بعضاً قروناً طويلة ، وكان البابليون بوجه عام يحلقون شواربهم ويطلقون لحاهم . وهذه الصفات مستنبطة من التماثيل المختلفة التى صنعت لتمثل الساميين .

وأما مميزاتهم العقلية والخلقية فأهمها المرونة العقلية ، وسرعة التأثر بالتقاليد الاجتماعية ، وحسن الاستعداد لمواجهة التغيرات البيئية ، وقوة

الشخصية ، والميل إلى القسوة ، وإلى الراحة ، مع القدرة على الجد والمثابرة ، والصبر على مزاولة الأعمال الشاقة ، ومتابعة السعى لتحقيق أغراض ثابتة معينة ، والشغف بالفلسفة والرياضيات والموسيقى ، والتعمق فى بحث الألوهيات وبساطة العقيدة الدينية ، وشدة التمسك بها ، والقدرة على الجدل والاستنباط ، وشدة الميل إلى التجول ، والاشتغال بالتجارة وجمع المال ، والدقة فى المحاسبة ، وحب الاحتراف ، والرغبة فى التآلف وتقوية الروابط الأسرية .

أما ما يقال عن كراهيتهم للحياة الحربية وميلهم للهرب من الأنظمة الشديدة المقيدة للحرية التى تستدعيها تلك الحياة فمردود لأنهم مطبوعون على تحمل الشدائد والصبر على المشقات ، قادرون على حشد الجيوش إذا ساعدتهم الظروف على ذلك . يدل على هذا الحروب الطاحنة التى قامت بين البابليين والآشوريين ثم الحروب البونية ، والفتوحات العربية الإسلامية .

الموطن الأصلى للأمم الساميــة

لقد وجدت هذه الشعوب متميزة بتلك المميزات السابق ذكرها ومتكلمة بلغات تكاد تكون متحدة ، ولذا أجمع العلماء على أنهم انحدروا من طائفة واحدة أو جنس واحد من الناس كان يسكن مكاناً واحداً ، ويتكلم بلغة واحدة .

ومما يدعو للأسف أن موطن الساميين الأصلى الذى كانوا يقيمون فيه قبل تفرقهم وانقسامهم شعوباً وقبائل وانتشارهم فى تلك البقعة من الأرض التى سبق تحديدها كان ولايزال من الأمور المشكلة التى اختلف فيها المؤرخون اختلافاً كبيراً ، وذهبوا فيها مذاهب شتى نذكرها فيما يلى واحداً واحداً لتكونوا على بينة منها ، ولتطلعوا على مناهج البحث التى سلكها كل من المؤرخين لاثبات رأيه .

أولا : المذهب الافريقى :

يقول أصحابه إن الساميين نشأوا فى أول الأمر فى أفريقيا ، وأقاموا بها زمناً طويلا ، ولما ضاقت بهم هاجروا إلى الأماكن التى استقروا فيها فيما بعد .

ويبنى أصحاب هذا الرأى رأيهم على أسس جسمانية فيقولون : « إن هناك تشابهاً فى الخلقة بين الحاميين ، سكان أفريقيا ، والساميين وبخاصة من كانوا يسكنون جنوبى بلاد العرب ، وتظهر هذه المشابهة فى أخمص (باطن) القدمين وفى مشابهة شعر الرأس بالصوف ، وفى كبر الفكين حيث إن المقطوع به هو أن الحاميين هم سكان أفريقيا الأصليون ، فلابد من القول بأن الساميين قد بدأوا معهم فى أفريقيا فى أول الأمر ثم هاجروا منها إلى آسيا» .

وينقسم أصحاب هذا الرأى قسمين ، فطائفة تقول إن الساميين كانوا مع الحاميين يسكنون شمالى أفريقية فى مصر وما حولها وأن هجرتهم إلى آسيا كانت بطريق برزخ السويس ، وطائفة أخرى تقول إنهم كانوا معاً فى بلاد الحبشة وإن هجرتهم منها إلى بلاد العرب كانت بطريق بوغاز باب المندب .

الرد على هـــذا الرأى :

هذا رأى دلت الدلائل على أنه ضعيف مردود لأن التاريخ يذكر لنا أن أول هجرة للساميين كانت من آسيا إلى أفريقية لا العكس ، ولأنه يكاد يكون من المتفق عليه أن أبناء نوح ومن تناسل منهم قد وجدوا أول ماوجدوا في آسيا . أما ماعرف من تشابه بين الحاميين وبعض الساميين فى بعض الصفات الجسمانية فسببه أن الساميين سكان جنوبى الجزيرة العربية اختلطوا هناك بالكوشيين المنحدرين من أصل الحاميين لأن كوش من أبناء حام ، وتصاهروا معهم . ومن ثم نشأ ذلك التشابه الجسمى بين الفريقين .

ثانيا : المذهب الأرمينى :

يقول إن الموطن السامى الأصلى هو بعض جهات أرمينية ، ويرى أصحاب هذا الرأى ، وفى مقدمتهم أرنست رينان (A. Renan) صاحب كتاب تاريخ اللغات السامية الذى كتبه بالفرنسية أن الساميين هاجروا أولا من جهات فى مقاطعات أرمينية الواقعة حول إقليم أرمينيا الجبلى فى شمال الكردستان الحالية الواقعة شمالى العراق ، ويستدلون على ذلك بأدلة مستقاة من روايات التوراة ، ومما نقل عن بعض أحبار اليهود . فهذا الرأى يوصف بأنه رأى نقلى لأنه مأخوذ عن الغير ، وليس له أى دليل .

الرد على هـــذا الرأى :

ولكن هذا الرأى لايمكن الأخذ به لأنه أصبح من المؤكد الآن أن مؤلف سفر التكوين الذى هو مصدر تلك الروايات لم يستند فيما كتب إلى أدلة علمية يقينية بل كان يأخذ المعلومات من أفواه الرواة والقصاصين الذين ذهبوا فى رواياتهم مذاهب شتى غير يقينية فيما يتعلق بموطن الساميين الأصلى .

يقول نولدكه (Noeldeke) المستشرق الألمانى العلامة الأكبر فى الرد على هذا الرأى كلاماً خلاصته :

(راجع مقالة نولدكه فى اللغات السامية فى دائرة المعارف البريطانية)
«كان العلماء فيما مضى يفرضون أن الساميين أتوا من مقاطعات خاصة فى

أرمينية أول الأمر ، ويبنون هذا الرأى على ماورد فى سفر التكوين من أن شعوباً سامية متعددة تناسلت من **ارفكشد** (אַרְפַּכְשַׁד) أحد أبناء سام الذى يقال إنه سمى باسم مدينة أرمينية هى أرفكيدش التى تسمى الآن الباك الواقعة على الحدود الأرمينية التركستانية . وكان يظن أيضاً أن هذا الإقليم كان موطن الشعب الأول الذى انحدرت منه الشعوب السامية والشعوب الهندية الأوربية . ولكن هذا النسب أمر مشكوك فيه وأن انفصال هذين الجنسين أحدهما عن الآخر لم يحدث فى عصر قريب بحيث تستطيع الشعوب السامية أن تحتفظ بذكريات حقيقية أو روايات تاريخية يمكن الاعتماد عليها فى هذا الصدد .

وليس ثمة خطأ أكبر من أن نظن أو نتخيل أن ذاكرات الشعوب تستطيع أن تحتفظ قروناً طويلة بأسماء البلاد التى هاجروا منها ، وهاجر أجدادهم الأول فمن الواجب ألا نأبه بذلك الرأى الخرافى الذى يقول بأن القبائل البدائية تحتفظ بذكرياتها التاريخية احتفاظاً أبدياً لايتطرق إليه الخلل ، فتتذكر حوادثها الماضية تذكراً لايتطرق إليه النسيان . فالمعروف أن عهد امتزاج اليهود بالعرب وغيرهم من الشعوب السامية وتكوينهم شعباً واحداً عهد بعيد جداً متوغل فى أعماق الماضى بحيث لايستطيع أحد هذه الشعوب أن تحتفظ برواية دقيقة صحيحة عن عهد امتزاجهم هذا . والرأى القائل بأن العيلاميين والعبرانيين والقبائل المتصلة بهم تمام الاتصال ينتسبون إلى أرفكشد رأى يرجع إلى القول بأن سفينة نوح رست بعد الطوفان على هذا المكان . وعلى هذا نجزم بأن هذا الرأى يقوم على أساس قصصى بحت .

هذا إلى أننا نجد فى سفر التكوين نفسه رواية لهذا الموضوع تختلف كل الاختلاف عما ذكر ، وقد أخذت على مايبدو من مصدر آخر ، وهذه الرواية تفيد أن جميع الشعوب المتناسلين من نوح ومن بينهم الساميون استوطنوا فى أول الأمر أرض بابل ، وهاجروا منها بعد أن ضاقت بهم . (راجع الفصل ١١ من سفر التكوين) .

ويختم نولدكه كلامه فيقول : «قل أن يوجد عالم محقق الآن يعتقد أن موطن الساميين الأصلى هو الشمال الأقصى من بلاد العراق» .

ثالثا : الرأى التركستانى :

يعتنق هذا الرأى طائفة كبيرة من مستشرقى أوربا ، وفى مقدمتهم فون كريمر (Von Kremer) المستشرق الألمانى الكبير نشر هذا العالم مقالين سنة ١٨٧٥ فى مجلة تاس أوسلاند (Tas Ausland) موضوعهما أسماء الحيوانات والنباتات التى عرفها الساميون عن غيرهم ، واستعاروا أسماءها من لغاتهم .

وبعد البحث المستفيض وصل إلى نتيجة هامة وهى أن الساميين قبل تفرقهم ، وتفرع لغاتهم الأصلية إلى لهجات مختلفة كانوا يستعملون اسماً مشتركاً فيما بينهم للجمل ولكن لم يكن لديهم اسم عام مشترك للنخل ولا للتمر ولا كلمة واحدة تدل على النعامة أى أن الكلمات التى تدل على نخل وتمر ونعامة لاتوجد بصورة واحدة ولابصورة متقاربة فى جميع اللهجات السامية . أما الكلمات التى تدل على جمل فهى كلمة واحدة تقريباً فى جميع تلك اللهجات .

فاستنبط فون كريمر من هذه الظاهرة حقيقة جغرافية هامة هى أن موطن الساميين الأصلى لابد أن يكون بيئة قد استوطنها الجمل منذ أقدم العصور . وفى الوقت نفسه لاتعيش فيها النعامة ، ولايوجد فيها نخل .

وقد وجد بعد البحث أن هذه الصفات تنطبق على منطقة الهول الآسيوية القريبة من منابع سيحون وجيحون فى بلاد التركستان ، فهذه المنطقة فى نظر كريمر هى موطن الساميين الأصلى الذى هاجروا منه بعد أن ضايقهم الشعوب الآرية ، وانتهت رحلتهم نحو الغرب والجنوب الغربى إلى أرض بابل وما بين النهرين فاستطابوا هذا الإقليم ، وعاشوا فيه ، وهناك أسسوا أول حضارة سامية عرفها التاريخ (وهذا الرأى يعرف بأنه رأى لغوى) .

وفى سنة ١٨٧٩ كتب اجنازيو جويدى (E. Guidi) المستشرق الإيطالى رسالة عن موطن الساميين الأول الذى هو موضع البحث الآن . وقد نهج فى بحثه منهجاً مشابهاً كل المشابهة لمنهج فون كريمر السابق شرحه ،

مع أن كلا منهما قد قام ببحثه مستقلا عن الآخر ، فقد قارن جويدى أسماء المعادن والنباتات والحيوانات والأسماء الدالة على التقلبات الجوية والتغيرات الجيولوجية بعضها ببعض فى اللغات السامية .

وبعد البحث وجد أن بعض المدلولات الجغرافية والحيوانية والنباتية يعبر عنها بكلمات متحدة ، ولو على سبيل التقريب فى اللهجات السامية المختلفة . ومن ثم قرر أن الكلمات المشتركة بين هذه اللهجات لابد أن تكون من بقايا اللغة التى كان يتحدث بها الساميون فى موطنهم الأصلى قبل تفرقهم وانقسامهم إلى شعوب مختلفة . ثم وجد أن النباتات والحيوانات والتغيرات الطبيعية التى انحدرت أسماؤها فى جميع اللهجات السامية على وجه التحديد أو التقريب لاتوجد إلا فى إقليم التركستان الآنف الذكر . وبذلك وصل إلى نتيجة تكاد تتحد والنتيجة التى وصل إليها فون كريمر وخلاصتها :

أولا : أن بلاد بابل كانت أول مستقر للحياة السامية المنظمة وأول موطن لأول حضارة سامية عرفها التاريخ .

ثانياً : أن الساميين الأوائل هاجروا إلى بابل من إقليم يقع فى الجنوب والجنوب الغربى من بحر قزوين الذى هو مصب نهرى سيحون وجيحون .

وفى السنة نفسها كتب هوميل (Hommel) الألمانى رسالة فى ذلك الموطن تؤيد آراء هذين الباحثين ، ويرى أن ميزوبتاميا أو مابين النهرين أرض الجزيرة العراقية السفلى لابلاد العرب كانت موطن الحضارة السامية الأولى .

وإذا فرضنا أن آراء هؤلاء العلماء صحيحة ، وقلنا أن الساميين هاجروا من بلادهم الأصلية التى كانت قريبة من منابع سيحون وجيحون أو من جنوبى بحر قزوين ، فكيف نتصور طريق الهجرة الأولى ، وكيف نتخيل خطة سيرهم التى اتبعوها حتى انتشروا من بابل ذلك الإنتشار الذى انتهى إلى ماهم عليه الآن .

وللإجابة على هذا السؤال نستطيع أن نقول أنهم لما تركوا موطنهم الأصلى فى بلاد التركستان حينما ضايقتهم الشعوب الآرية عبروا مناطق الكردستان

الجبلية ثم وصلوا إلى نهر دجلة ثم عبروا هذا النهر ، وأقاموا فى بلاد الجزيرة فيما بين النهرين . وبعد أن أقاموا هناك طويلا ، وأسسوا حضارتهم الأولى ، وضاقت بهم الأرض فأخذوا فى الرحيل عنها على سبيل التدرج فى أمواج متلاحقة من الناس إلى الإقليم الجنوبى متبعين فى ذلك طريقين مختلفين ؛ الأول طريق إلى الجنوب نحو الخليج الفارسى ثم بلاد العرب ، ومن هنالك عبروا مضيق باب المندب ، وعلى مر العصور انتهى الحل والترحال بفريق منهم إلى بلاد الحبشة والجهات المجاورة لها . أما الطريق الثانى فيتجه من بابل إلى الغرب شمالا وجنوباً حيث دخل الساميون سورياً ثم كنعان ، ولابد أن نفرض أن هذه الهجرة بشقيها قد تمت فى عصور ماقبل التاريخ .

الرد على هـــذا الرأى :

يوصف هذا الرأى بأنه رأى لغوى ، لأنه يقوم على أساس لغوى بحت . ومن ثم يصعب على الباحث المحقق أن يجعله القول الفصل فى هذا البحث المشكل ، فإن هناك أسباباً قوية تدعونا إلى الشك فيه وتحول دون قبوله وعده نهائياً فى حل المشكلة ، ومن بين هذه الأسباب :

أولا : ماذكره نولدكه شيخ المستشرقين ، وهو أنه من الممكن أن نجمع عدة ألفاظ تعد من الألفاظ العامة المشتركة التى ورثتها جميع اللهجات السامية والتى لاتنطبق مدلولاتها على أشياء وجدت فى البلاد التى يقول أصحاب هذا الرأى إنها كانت موطن الساميين الأول ، ولافى بلاد بابل التى يقال إنها موطن الساميين الثانى .

ثانياً : إنه لم توضع بعد معاجم كاملة لكثير من اللهجات السامية التى لاتزال مادتها قاصرة محدودة ، لأن كثيراً من الألفاظ قد انقرض ، وقضى عليه توالى العصور . ومن المؤكد أن بعض اللغات السامية قد فقدت كثيراً من الألفاظ القديمة التى ورثتها عن اللغة السامية الأصلية . فمن الخطأ أن نقول على وجه اليقين إنه ليس هناك كلمة عامة واحدة لمعنى ما من المعانى الهامة

لأنه من المحتمل أن تكون تلك الكلمة قد انقرضت من لهجة ما أو أصبحت من الكلمات المهجورة فيها .

ثالثاً : أن لدينا كلمات كثيرة ليست مشتركة بين اللهجات السامية مثل الكلمات الدالة على جبل ، وعلى رجل ، وعلى رجل مسن ، وعلى خيمة مع أن هذه معان أساسية لابد أن تكون قد استعملت لها الألفاظ فى اللغة السامية الأصلية .

ويقول علماء المنطق إن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال وهذه ثلاثة أسباب تدعونا إلى الشك فى صحة الدليل الذى يستند إليه أصحاب الرأى اللغوى .

رابعاً : الرأى العـــربى :

وهذا هو آخر الآراء فى حل المشكلة التى نحن بصددها . وقد ارتآه فريق من المحققين فى أواخر القرن التاسع عشر ، وبرهنوا على صحته بأدلة تكاد تكون يقينية . وقد أدى ذلك إلى عدول بعض أصحاب الآراء السابقة عن آرائهم ، وتأييدهم لهذا الرأى الذى يتلخص فى أن جزيرة العرب هو الموطن السامى الأصلى .

وأول من قال بهذا الرأى هو سايك (Sayce) الإنجليزى ، فقد ذكر فى كتابه الذى ألفه فى قواعد اللغة الآشورية ، وظهر فى سنة ١٨٦٢ م العبارة التالية :

«إن جميع التقاليد السامية تدل على أن جزيرة العرب هى موطن الساميين الأول ، فإنها البلاد الوحيدة التى بقيت سامية أى لم يؤثر فيها نفوذ أجنبى يخرجها عن طبيعتها وأن مميزات الجنس السامى التى منها القوة فى العقيدة الدينية والشجاعة الخلقية وقوة الخيال لابد أن يكون مصدرها الصحراء» .

وفى سنة ١٨٧٣ م أعلن شريدر (Schrader) الألمانى الرأى نفسه فى نشره فى مجلة تاس أوسلاند بحث فيه العلائق الدينية والجغرافية والتاريخية واللغوية التى كانت تربط الأمم السامية بعضها ببعض ثم وصل إلى النتيجة نفسها وهى أن بلاد العرب كانت مهد هؤلاء جميعاً قبل أن يتفرقوا .

وفى سنة ١٨٧٥ م نشر شبرنجر (Springer) الألمانى فى كتابه المسمى «جغرافية بلاد العرب القديمة» وفيه يقول : «إن جميع الشعوب السامية هم فى رأيى طبقات متوالية من العرب تكونوا طبقة بعد أخرى فى الجزيرة العربية . ومن هنا يعرف مثلا عدد الطبقات التى سبقت فى هجرتها من بلاد العرب القبائل الكنعانية التى نسمع عن هجرتها منذ العصور الأولى من التاريخ» .

وأخيراً ظهر رأى دى خويه الهولندى الذى ألقى محاضرة علمية فى سنة ١٨٨٢ م وضح فيها رأيه فى هذا الموضوع إيضاحاً تاماً . ثم صرح بأنه يؤيد الرأى القائل بأن الجزيرة العربية كانت موطن الساميين الأول (١) .

---

[١] الموطن الأول للساميين : لم يصل البحث العلمى بعد إلى رأى يقينى فى تعيين هذا الموطن . وأهم ماقيل عن المهد الأصلى للأمم السامية الآراء الستة التالية باختصار :

(١) يرى بعض المستشرقين ومنهم فون كريمر (V. Kremer) ، وجويدى (I. Guidi) وهومل (Hommel) أن مهد الساميين الأصلى جنوب العراق . وهذا يتفق مع ماورد بالتوراة من أن أقدم منطقة عمرها أولاد نوح هى أرض بابل ، وأقدم موطن لأدب الساميين فى نظرهم هو وادى دجلة والفرات .

(٢) ويرى البعض الآخر أن المهد الأصلى للأمم السامية كان بلاد كنعان .

(٣) ويرى آخرون أن الساميين نشأوا فى بلاد الحبشة ونزحوا بعد ذلك إلى القسم الجنوبى من بلاد العرب . ومن ثم انتشروا فى مختلف أنحاء الجزيرة العربية .

(٤) وهناك من يرجع نشأتهم إلى شمال أفريقيا لشدة تشابه الموجود بين اللغات السامية والحامية والتشابه الخلقى فى الشعر والأسنان والفك ، ويستطرد قائلا إن الساميين نزحوا إلى آسيا عن طريق برزخ السويس .

(٥) ويظن البعض أن المهد الأول للساميين فى جهات معينة من أرمينية بناء على ماجاء بسفر التكوين من أن الشعوب السامية إنحدرت من مدينة أرفكشاد إلى حدود أرمينية وكردستان . بل إن منهم من يعتقد أن بلاد أرمينية هى مهد الساميين والآريين معاً .

(٦) أما رينان (A. Renan) ، وبروكلمان (C. Brockelmann) ودى خويه (De Goeje) ، ورايت (W. Wright) فيرون أن مهد الساميين الأول كان جنوب الجزيرة العربية ، وهذا مايعضده سايك بكتابه الأجرومية الآشورية .

(راجع كتابى قواعد اللغة العبرية ص ٩ ومايليها) ، (وراجع أيضاً د. على عبد الواحد وافى فى فقه اللغة ص ٦ وما يليها) .

ومَن المفيد أن نعرف الأسباب التي دعت أصحاب هذا الرأى إلى الأخذ به وتأييده ، والعدول عن الآراء السابقة ، وفيما يلى بيان بهذه الأدلة على سبيل الإيجاز :

أولا : إن التاريخ يذكر لنا أن الساميين الذين ذهبوا إلى غير بلاد العرب من الممالك المجاورة لها إنما ذهبوا إليها فاتحين أو مهاجرين ، ولم يذكر التاريخ أن البابليين والآشوريين الساميين أصحاب الحضارة الراقية فى العراق كانوا سكان هذه البلاد الأصليين ، بل إنه يذكر أنهم أجانب وفدوا على هذه البلاد ، وأخضعوا لسلطانهم سكانها الأصليين الذين كانوا يسمون الشومريون ، ومثل ذلك يقال فى سائر الأمم السامية التى سكنت بلاداً غير بلاد العرب ، فقد دل البحث الحديث على أن كلا منهما جاءت إلى مستقرها الأخير مهاجرة أو مغيرة من جهة ما من بلاد العرب.

ثانياً : إنه قد عثر على نقوش رموز مكتوبة باللغة الشومرية أى بلغة سكان بابل السابقين للساميين تفيد أن بلادهم كانت دائماً فى خطر إغارة قبائل سامية

ثالثاً : إن التاريخ يذكر لنا وصول الساميين إلى المواطن السامية ما عدا الجزيرة العربية ، ويكاد يحدد تحديداً تاماً تاريخ وصولهم إلى كل من تلك المواطن ، ولكنه لم يذكر حتى الآن متى وصل الساميون إلى جزيرة العرب وجعلوها موطناً لهم . فمن المعروف أن سكان هذه الجزيرة أغاروا على بابل وآشور ، وهجموا على سوريا وكنعان ، وذهبوا إلى عمان واليمن ، وضايقوا

= وانظر مايلى :

— Hommel, Saugethiernamen S. 406 ff.
— Von Kremer, Altsemitische Tiernamen in Ausland Bd 53, 1880. S. 201 ff. U. 1875 Bd 48 'Semit. Culturentlehnungen aus dem Pflanzen u. Tierreich S. 1 ff., 25. ff., 66 f. und 85 ff.
— Ignazio Guidi, Della sede primitiva dei popoli semitici (In den Memorie della Reale Accademia, dei Lincei) Rom 1879.
— Eberhard Schrader, Arbien als Urheimat der Semiten.

سباتينو موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، ترجمة يعقوب بكر ص ٥٢ ومايليها .

مصر ، واحتلوها فى عهد الفراعنة (الهكسوس) ، واجتازوا بوغاز باب المندب واستولوا على بلاد الحبشة ، ولكننا لانعرف أن البابليين مثلا أغاروا على بلاد العرب ، واستوطنوها . فمن ذلك يبدو واضحاً أن بلاد العرب أقدم موطن عرفه تاريخ الساميين .

رابعاً : أن الحوادث التاريخية السياسية دلت ، ولاتزال تدل على أن سكان الصحارى أو الجبال المجدبة هم الذين يغيرون دائماً على البلاد المتحضرة رغبة منهم فى التحضر أى سكنى المدن ، والاستمتاع بخيرات البلاد الخصبة المجاورة للأنهار حيث يقيمون ، ويتخذون الزراعة مهنة لهم ، ويعيشون عيشة مدنية هادئة .

وليس لدينا مثل واحد واضح يذكر لنا عكس هذه القضية ، ويبين لنا أن سكان السهول والمدن المتحضرين ينتقلون إلى البادية أو يهاجرون إلى الصحراء ليصيروا بدواً رعاة إبل وغنم إلا إذا اضطروا إلى ذلك اضطراراً .

وهناك حوادث تاريخية متعددة لاسبيل إلى الشك فيها تؤيد هذه النظرية ؛ فإن إغارة سكان الجزيرة العربية على البلاد المجاورة لها فى القرون الغابرة ، وإقامتهم فى بابل وآشور ثم فى كنعان وسوريا وذهابهم إلى اليمن ، ومن ثم إلى الحبشة وشمالى أفريقيا قد حدث مرة أخرى حين توحدت كلمة العرب فى عهد سيطرة قبيلة قريش وظهور الدعوة الإسلامية فقد فتح المسلمون البلاد المجاورة لهم بعد أن أخضعوا لسلطانهم أجزاء الجزيرة العربية جميعاً ، وامتد نفوذهم إلى ملك كسرى وبلاد الامبراطورية الرومانية الشرقية . وهناك حادثة أخرى تؤيد هذا الرأى تلك هى الفتوحات التى قام بها المغول والترك من الصحارى والوديان التى كانوا يقيمون بها ومنها أغاروا على البلاد المجاورة لهم ، واستولوا على الدول الإسلامية ، وقضوا على الخلافة العباسية فى القرن السابع الهجرى .

هذا وإننا لانزال نرى فى عصرنا الحاضر أهل البادية وسكان الصحارى يسعون جاهدين فى الإقامة بالمدن وممارسة الحياة المدنية ابتغاء الحصول على الثروة والسلطان .

خامساً : إن سكان بلاد العرب الذين لم يختلطوا بغيرهم من الأجانب والأجناس البشرية الأخرى قد جمعوا بين مميزات الجنس السامى الجسمية والعقلية والخلقية التى ذكرناها فيما مضى . ويرى المحققون أن لغتهم أقرب اللهجات السامية إلى اللغة السامية الأصلية ذلك أن اللهجات السامية الأخرى قد تأثرت باختلاط الساميين بسكان البلاد التى فتحوها فدخلتها عناصر أجنبية من لغات الأجانب سكان البلاد المفتوحة .

ولولا النفوذ الدينى وسيطرة لغة القرآن بعد الفتح العربى الأخير لكان حظ اللغة العربية القرآنية حظ اللغة السامية الأصلية أى لضاعت فى طيات اللهجات المختلفة التى نشأت باختلاط العرب بسكان البلاد التى فتحوها .

ومع ذلك فإن اللغة العربية الباقية التى صارعت الزمن فصرعته هى لغة القرآن ، باعتبارها لغة التحرير والأدب ولغة التدوين والتأليف . أما لغة المحادثة فقد خضعت لسنة الطبيعية ، وتأثرت بمبدأ التطور فانقسمت إلى لهجات إقليمية دارجة اختص كل قطر من الأقطار الإسلامية بلهجته الخاصة المتأثرة بما غزا ذلك القطر من اللغات الأجنبية .

وكما أن لغة التخاطب والحديث باللغة العربية الأصلية قد فقدت شخصيتها وتأثرت باللغات الأجنبية . كذلك نرى أن الجنس العربى أو السامى الأصلى قد فقد شخصيته ومميزاته بالاختلاط بالأجناس والشعوب الأخرى ، ذلك لأن الإسلام لم يمنع من اختلاط العرب بالعجم والمصاهرة بين الجنسين . ومن ثم نرى أن القبائل العربية التى تركت الجزيرة العربية وانتشرت فى بقاع الأرض الأخرى بانتشار الإسلام امتزجت بالشعوب المختلفة ، وأصبح من الصعب فى كثير من الأحيان تمييزهم من الأجانب .

سادساً : يؤيد العلامة رايت (W. Wright) هذا الرأى ، ويقول ماخلاصته أن هذه العملية نفسها أى هجرة العرب من قلب الجزيرة إلى ماجاورها قد تكررت فى العصور التاريخية ، وذلك حين هاجرت جموع من العرب إلى سوريا وما بين النهرين ، واستولوا عليها ، وقد حدث فى

القرون المسيحية الأولى أن استولى فريق من تجار العرب على مملكة تدمر غربى بلاد العرب ، وأخضعوها لسلطانهم . وكذلك اقتسمت سهول سوريا الجنوبية ثلاث دويلات عربية هى دويلات الغسانيين والثعالبة والحيريين . وفى إبان الصراع بين الفرس والروم كان الأكاسرة والقياصرة يعتمدون على العرب المناذرة حكام الحيرة ، والغساسنة حكام الشام ، ويستعدونهم بعضهم على بعض .

والخلاصة أن معظم العلماء يميلون إلى قبول الرأى الأخير غير أننا لانرى مايمنع أن نفرض أن سكان الجزيرة العربية الأصليين الذين هم أصل الشعوب السامية المتفرقة لم يوجدوا فى هذه الجزيرة فى أول الأمر ، وإنما هاجروا إليها من إقليم آخر هو الإقليم الذى أقاموا به أيام أن كان بنوالإنسان قبيلة واحدة يقيمون فى بقعة واحدة من بقاع الأرض كانت موطناً لبنى الإنسان قبل تفرقهم .

وإذا سئلنا عن تلك البقعة التى أقام بنو الإنسان بها فى أول أمرهم قلنا لايبعد أن تكون هى الجهة المجاورة لمنابع سيحون وجيحون . ومن المحتمل أن تكون جهات أرمينية كما أخذ من رواية التوراة .

وإذا سلمنا بأن هذه البقعة أو تلك أو غيرهما كانت موطن الإنسان الأصلى . كان علينا أن نفرض أن تلك الأرض قد ضاقت بسكانها فاضطر فريق منهم إلى الرحيل عنها ، وكان فى هذا الفريق الفصيلة التى أطلق عليها فيما بعد اسم الفصيلة السامية .

انفصلت هذه الفصيلة عن أخواتها وجدت فى السير طلباً للمرعى والمصائد ومازالت تسير حتى وصلت إلى بلاد العرب التى يذكر بعض المؤرخين ، وفى مقدمتهم البرنس كيتانى الإيطالى أنها كانت فى القدم خصبة تجرى فيها الأنهار صالحة للصيد والقنص ورعى المواشى والزراعة ، قادرة على أن تمد الآلاف المؤلفة من الناس بالمؤونة اللازمة لحياتهم . ووجدت هذه الفصيلة تلك الأرض على هذه الحال فاستوطنتها ، وطاب لها المقام بها مدة من الزمن

لايعرف أحد مقدارها . ولابد أن نعرف أن بلاد العرب كانت كذلك فى عصور قديمة جداً سابقة لعصور الهجرة السامية إلى تلك الجزيرة بقرون كثيرة العدد .

وقد أقامت الفصيلة السامية فى بلاد العرب واشتغلت بالرعى والقنص الأمرين اللذين يذكر لنا التاريخ أن الساميين قد نبغوا نبوغاً عظيماً فى ممارستهما منذ أقدم العصور .

وإذا رجحنا هذا الرأى الذى يبدو أنه أقرب الآراء إلى الحقيقة فى نظر المؤرخين فكيف نتصور طريقة هجرة الساميين من بلاد العرب وانتشارهم فى البلاد المختلفة ثم استقرارهم فى الأقطار التى انتهى أمرهم إلى استيطانها ، وهى على الأخص بابل وآشور وسوريا وفلسطين وجنوبى بلاد العرب والحبشة .

يقول شريدر (Schader) الألمانى فى الجواب عن هذا السؤال ماخلاصته : أن الساميين الشماليين أى الآراميين والبابليين والكنعانيين (والآشوريين) قد رحلوا معاً عن قلب الجزيرة العربية إلى بابل تاركين من ورائهم سائر البطون السامية . وأقاموا فى جنوبى العراق أى فى بابل زمناً طويلا حتى ضاقت بهم الأرض فرحل عنها الآراميون واتجهوا نحو الغرب ، وأقاموا بسوريا حيث أسسوا دويلات متعددة ، ثم تبعهم الكنعانيون فهاجروا من بعدهم بعدة قرون من بابل ، واتجهوا نحو الجنوب الغربى ، واستقروا بفلسطين . وأخيراً هاجر الآشوريون إلى شمالى العراق حيث أسسوا الدولة الآشورية . وحدثت فى الوقت نفسه هجرة نحو الجنوب فأقامت بطون من الساميين على الساحل الجنوبى لجزيرة العرب وماجاوره حيث أسسوا دولا عظيمة متعاقبة فى اليمن وماحوله . ومن هنالك هاجرت بطون سامية إلى أفريقية بطريق بوغاز باب المندب واستقرت ببلاد الحبشة وماحولها .

أما من لم يهاجر من الساميين فقد بقوا فى القسم الشمالى من جزيرة العرب وهم الذين سموا فيما بعد عرب الشمال .

ونزيد هذا الرأى إيضاحاً فنقول :

(١) إن المراد بالكنعانيين مايشمل الفينيقيين والعبرانيين .

(٢) إن هناك رأياً آخر يقول إن العبرانيين كانوا من الساميين المتخلفين فى قلب الجزيرة العربية ، وأنهم أغاروا منها على كنعان ، واختلطوا بالكنعانيين ثم أسسوا دولتهم التى انقسمت بعد موت سليمان سنة ٩٥٦ ق.م . إلى مملكتين مملكة يهوذا فى الجنوب وعاصمتها أورشليم ، وهى التى أسقطها بختنصر حوالى سنة ٥٨٦ ق.م ، والثانية المملكة الشمالية المسماة بإسرائيل وعاصمتها (سامريا) السامرة ، وهى التى سقطت على يد سرجون الثانى الأشورى قبل سقوط يهوذا وكان حوالى سنة ٧٢٢ ق.م .

وهناك نظرية شاع أمرها بين بعض المؤرخين خلاصتها أن هجرة الساميين من قلب الجزيرة العربية كانت تحدث مرة واحدة فى كل ألف سنة وبناء على هذه النظرية قيل إن هجرة الساميين الأولى إلى الجنوب من العراق (بابل) كانت على وجه التقريب فى القرن السادس والثلاثين ق.م. وأن الهجرة الثانية إليها كانت فى القرن السادس والعشرين أى حوالى سنة ٢٦٠٠ ، وأن الهجرة الثالثة إلى بابل أيضاً تمت فى القرن الـ١٦ ق.م. وأن هجرة بعض الاسماعيليين إلى الحجاز والشام كانت فى القرن السادس ق. م. وفى القرون المسيحية الأولى هاجر بعض العرب من الحجاز إلى الشام أيضاً ، وبعض القحطانيين من اليمن إلى الحجاز والشام . فاستقرت خزاعة (قبيلة قحطانية فى مكة) ، واستقر الأوس والخزرج بيثرب ، والغسانيون فى الشام ، واللخميون فى العراق أى فى الحيرة وماحولها ، وكان منهم المناذرة .

وفى أوائل القرن السابع بعد الميلاد تمت الفتوح الإسلامية التى قام بها المسلمون بعد البعثة المحمدية ، وترتب عليها أكبر هجرة عرفها التاريخ .

جغرافية الموطن الأول للحضارة السامية الأولى :

لقد أقام الساميون أول حضارة عرفها لهم التاريخ بأرض الرافدين أى بلاد العراق الجنوبية (١) . وسميت كذلك باسم النهرين العظيمين دجلة والفرات

---

(١) د. نجيب مخائيل : مصر والشرق الأدنى حـ ٥/ص ١١ — ٢٥

اللذين هما سبب الخير والبركة فى تلك البلاد ، كما أن نهر النيل هو سبب الخير والبركة لمن أقاموا فى حوضه ، وينبع هذان النهران من الشمال من مرتفعات أرمينية حيث توجد جبال طوروس التى يبلغ ارتفاعها عن مستوى البحر حوالى ٧ آلاف قدم ، وتحيط بها من الجنوب جبال شاهقة ، ويبدأ النهران مسيرهما نحو جنوبى تلك البلاد ، ويختلفان فى منبعهما ، فأما الفرات فينبع من الجهات الشمالية من تلك الجبال ، ويتجه نحو الغرب ، أما دجلة فينبع من الجهات الجنوبية الغربية من جبال طوروس ويتجه نحو الشرق ، ويسير النهران متوازيين تقريباً من الشمال إلى الجنوب ، يقتربان تارة ويبتعدان تارة أخرى ، وبعد أن يسلكا مسافة طولها أكثر من ٨٠٠ ميل يلتقيان ويسيران ملتقيين باسم شط العرب الذى يبلغ طوله حوالى ١٢٠ ميلا ، ويصب فى الخليج الفارسى . ويزيد امتداده فى الخليج الفارسى نحو مئة قدم كل عام بدليل أن مدينة أريدو التى كانت ميناء بحرياً حوالى سنة ٦٨٠٠ ق.م أصبحت أطلالها مبتعدة عن البحر الآن أكثر من ١٣٠ ميلا . وعلى الرغم من أن هذين النهرين ينبعان من مكان واحد تقريباً ، ويسيران حتى يلتقيا ، فإنهما يختلفان اختلافاً جوهرياً ، فنهر دجلة يفوق نهر الفرات كثيراً فى سرعته وعمقه وغزارة مياهه وقدرته على اجتلاب الطمى من أعالى الجبال وحمله معه إلى جنوبى العراق حيث يترسب ، وتتكون منه أرض طينية زراعية خصبة تزيد مساحتها كل عام كما قلنا من قبل ، ويصب فيه كثير من الجداول والنهيرات التى تستمد مياهها من الجبال الشرقية المسماة جبال زغرب . ومن أشهر هذه الجداول جدول سنباط ، ويصب فى الجزء الشمالى من نهر دجلة ثم نهير الزاب الأعلى ثم نهير الزاب الأسفل ، ويبدأ فيضان دجلة وينتهى قبل فيضان الفرات .

وأما الفرات فهو أطول النهرين وينبع من الجانب الشمالى من جبل طوروس ويشق طريقه فى السهل أولا نحو الجنوب الغربى كأنما يريد أن يتصل بالبحر الأبيض المتوسط الذى لايبعد عنه إلا نحو مائة ميل ، وعند خط عرض ٣٧ يتجه نحو الجنوب مستقيماً حوالى مائة ميل ثم يسير نحو الجنوب الشرقى ثم إلى الشرق حتى يكاد يتصل بدجلة . وكان يصب فى الخليج الفارسى

ويقطع من منبعه إلى مصبه مسافة تبلغ حوالى ١٨٧ ميلا . ويمده فى الجهات الشمالية نهيران هما نهير بلخ ونهير الخابور ، وقد كانت هذه البقعة التى يرويها هذان النهران مسرحاً لحوادث تاريخية عظيمة مثلتها شعوب ودول مختلفة ؛ أهمها الشعوب السامية ، وفى مقدمتها البابليون والآشوريون والآراميون . فقد كانت هذه البلاد فيما مضى من أطيب بلاد الأرض تمد عدداً وفيراً من الناس بما يزيد على حاجاتهم من أقوات ، وذلك لخصوبتها وتنظيم إروائها ، وكانت نقطة التقاء للنهرين فى الجنوب تسمى فيما مضى جنة عدن لوفرة مائها وكثرة زرعها وأشجارها .

يقول هيرودوت المؤرخ اليونانى فى وصف الجزء الجنوبى من هذه البلاد ماترجمته :

«وينمو الزرع (أى عند الكلدانيين) نمواً عظيماً جداً حتى أنه لايوجد فى العالم ما يشبه أرضهم فى خصوبتها ، فإن الحبوب تغل مائتى ضعف ، وفى أوقات الرخاء يزيد الإنتاج ويصل إلى نحو أربعمائة مرة ، وورق الشعير والحنطة عندهم بعرض أربعة أصابع . أما الذرة والسمسم فهما هنالك أشجار عالية ، وإنى لاأذكر ارتفاعها لأنى على يقين أن من لايعرف أرض بابل لايصدقنى ، ولذلك أضرب صفحاً عن ذكره» .

وقد أظهر المهندس الإنجليزى ويلكوكس حقيقة هذا الأمر ، واطلع فى أثناء رحلته التى قام بها فى بلاد كلدان سنة ١٩٠٥ ميلادية على آثار سدود المياه وخزاناتها حتى قال أن هذه البلاد كانت فيما مضى لابد حدائق غناء تزينها المزارع الخضراء والرياض الفيحاء ، وأنه لم يبلغ أحد مبلغ الكلدانيين فيما أقاموا من سدود وخزانات للمياه ، وفيما كانوا يتبعونه من طرق لتوزيع هذه المياه على سائر أنحاء البلاد .

أقسام أرض الرافـــــدين

لقد جعلت مظاهر جغرافية خاصة هذه البلاد تنقسم قسمين يكادان يتساويان فى الطول إذ يبلغ طول كل منهما نحو أربعة آلاف ميل، ويمتاز القسم الشمالى بأنه يرتفع من مبدئه إلى نهاية القسم الجنوبى نحو ألف قدم تقع بين جبال شاهقة فى الشرق وصحارى مقفرة فى الغرب لاخصب فيها إلا حيث تتوافر مياه الرى فى سهولها ووديانها كما فى الجهات الواقعة من الشمال من جدول الخابور . أما الجهات الواقعة إلى الجنوب والجنوب الشرقى من هذا النهر ، وهى الجهات التى تمتد إلى مبدأ القسم الجنوبى ، فكلها تقريباً مقفرة يسكنها البدو . ويسمى هذا القسم ميزوبوتاميا أى مابين النهرين ، ويسمى فى اللغة العبرية ، ([illegible]) ، وبالآرامية (ארם-נהרין) .

ويبدأ القسم الجنوبى جنوبى خط وهمى يمتد بين مدينة هيت القديمة وسرمن رأى الحديثة الأولى على نهر الفرات والثانية على نهر دجلة ، والجزء الجنوبى سهل واحد تقريباً خصب منبسط تكثر فى الجزء الشمالى منه الأحجار الجيرية . ويرجح أن هذا القسم كان جزءاً من الخليج الفارسى ، وأنه تكون على مر الزمان من رواسب النهرين ، وقد بلغت مساحته فى عصرنا هذا نحو **٣٠ ألف** ميل مربع ، وإذا قدرنا أنه يمتد فى الخليج الفارسى حوالى ٧٢ أو مائة قدم كل عام ، قلنا إن مساحته كانت فى العصور القديمة حوالى **٢٣ ألف** ميل مربع ، وتمتد سهوله شرقاً من نهر دجلة مسافة تتراوح بين ٣٠ ، ٥٠ ميلا وينتهى بجبال زجروس ، وتمتد غرباً من نهر الفرات نحو ٢٠ أو ثلاثين ميلا تنتهى بالصحراء ، وكان الفرس واليونان يسمون هذا القسم الجنوبى بابل . وكان من قبل يسمى كلديا أى أرض الكلدان ، ولعل السبب فى ذلك أن





فيها دولة عظمى كان لها شأن كبير فى العالم القديم قبل أن يهاجر الساميون إلى بابل ، وكانت أور مركزاً دينياً هاماً إذ كانت مدينة الإله (سين) . وأقيم له فيها هيكل شامخ البنيان يتألف من ثلاث طبقات ، كما كانت ميناء بحرياً تبحر السفن منه وإليه حاملة البضائع مخترقة خليج العجم وبحر الهند .

٢ — مدينة أريدو : (١) ويسمى موقعها الآن أبو شهرين وكانت حوالى ٦٨٠٠ ق .م ميناء بحرياً يقع على الخليج الفارسى ، ولكنها تبعد الآن عن البحر أكثر من ١٣٠ ميلا ، وقد قلنا فيما مضى أن السبب فى ذلك هو زيادة الجزء الجنوبى من بلاد العراق فى امتداده فى البحر الفارسى نتيجة للطمى الذى يجلبه النهران دجلة والفرات ، وكانت أريدو مقر عبادة الإله (إيا) الذى سيأتى الكلام عنه ، وهو الذى يوصف بأنه إله النور والحضارة والعلم ، وكان سكان أريدو يرحلون إلى الجهات النائية كما كانوا يستقبلون الناس من جهات شتى ، وذلك للتجارة وتبادل المنفعة .

٣ — لارسام (٢) : وكانت مدينة للإله شمشا ، أى إله الشمس ، وكانت تقع على شاطئ الفرات إلى شمالى أور .

---

(١) أريدو : كان ماء أبوه المقدس فى معبد مدينة أريدو يستخدم كثيراً فى طقوس السحر للشفاء والوقاية من الأمراض . وكان كاهن المعبد يسمى الآشب ويقوم بالتعاويذ نيابة عن الإله إيا (إله السحر وعن ابنه البكر الإله مردوك ، ولهذا كان يسمى نفسه رجل إيا) . ورسول إيا ومردوك .

(٢) لارسم من المدن التى أسسها الأموريون واسمها الآن سنكره Senkereh فى جنوب أرض الرافدين ، وتدعى بالعهد القديم Ellasär (تكوين ١٤ — ١) كانت مركز عبادة إله الشمس . وجد بها اللوحات الرياضية التى كتب عليها الأرقام المربعة والمكعبة . ويدل هذا وغيره على أنها كانت حوالى عام ٢٤٠٠ ق.م مركزاً علمياً . وكان بها مكتبة كبيرة بنى المعبد بها Ur - bugas ، وزينه الملوك بعده حوالى ٢٣٠٠ ق.م ، وجدده Chammu - ragas ملك بابل بعد غزوها (٢٢٠٠ ق.م) ص ٢٠٩

Hommel : die semitischen Voelker 1883 Leipzig.

٤ – أوروك أو الوركاء (١) : وتسمى الآن ورقة أو وركه ، أما فى التوراة فتسمى (ארך) ، وكانت تقع فى الشمال الغربى من لارسم ، وقد استولى عليها العيلاميون حوالى سنة ٢٣٥٧ ق م ، ونقلوا آلهتها إلى بلادهم ، وبقيت تلك الآلهة هنالك إلى أن استردها آشور بانيبال ملك آشور حوالى سنة ٦٤٧ ق م .

ثانياً : فى إقليم أكـــد :

١ – مدينة نبور (٢) : وتسمى الآن نفر ، وكانت مدينة داخلية بين النهرين اشتهرت بالإله الذى كان فيها وهو انليل إله الريح المسيطر على الشياطين وكان سكان جميع المدن الأخرى يقدسونه ويتخذونه آلهاً لهم ويقدمون له القرابين ، وقد حازت نبور هذه الشهرة الدينية الفائقة ، حتى أصبحت فى وقت ما العاصمة الدينية للإقليم الجنوبى كله لوجود هيكل انليل بها ، كما كانت حاضرة الشومريين الدينية (عاصمة على البحر ، حاضرة) .

٢ – كوتا (٣) : وتسمى الآن تل إبراهيم ، وكانت مركز العبادة للإله نرجال (נרגל) ، وكانت تقع على بعد ١٥ ميلا تقريباً إلى الشرق من أكد .

---

(١) هى أرك (بيجولين) مركز عبادة دينية ، واسمها القديم غير السامى Unugga, Unug أى مكان سكنى . ووجدت تسمية أخرى لها لدى آشور بانيبال وهى Arku ، وباليونانية Orchoe نقل آشور بانيبال معظم ماكتب بها من الأدب البابلى القديم (السامى منه على الأقل) والأغانى الأكدية وأناشيد الدعاء إلى الآشورية الحديثة ، ووضعها بمكتبته . وبها طلل يرتفع حوالى ٦٠ متراً . كان العرب يدعونه بواريه ، ويمثل معبد الالهة (Nana) الذى بنى لها (Urbagas) ملك أور (حوالى ٢٨٧٠ ق.م) معبد E-anna (أى مسكن السماء) ثم أكمله الملك السامى Singashit كما يتضح من الحجارة التى وجدت بالطابق الثانى حوالى ٢٣٠٠ ق.م . على حين توجد آثار الملك Urbagas بالطابق الأول . (ص ٢٢٣ هوميل) .

(٢) نبور : يقال إن تأسيسها قد تم فى فترة سابقة للألف السادس . وربما فى الألف السابع . (راجع نجيب ميخائيل حـ٥ ص ٤٤) .

(٣) كوثا (Koutha) : تقع على شرق النهر ، خارج حدود سومر

٣ — أكد العظيمة : التى ينسب إليها الجزء الشمالى الغربى من مدينة بابل ، وفيها أسست أول دولة سامية فى عهد سرجون الأول الأكدى (١) (٣٧٨٠ — ٣٧٥٠ ق م) . ويعرف موقعها الآن باسم أبى حيه .

٤ — سبارا : وكانت تقع تجاه أكد على الضفة الشرقية من نهر الفرات ، والاسم الذى يطلق على موقعها حديثاً أبو هيبة وكانت مقراً لعبادة الإله شمشا فى إقليم أكد .

٥ — بابل : أى باب ايل وكانت مدينة قديمة يقسمها الفرات قسمين :

(ا) حذى ميرا : أى باب الله .

(ب) دين تيرا : (دين بمعنى مقر — تيرا : شجرة الحياة) أى مقر شجرة الحياة ، ويقال إن سرجون الأكدى السابق ذكره هو الذى سمى المدينة بقسميها باسم بابل وجعلها عاصمة لملكه ، كما قيل أن شيرام زوجة نينيب مؤسس الدولة الآشورية حوالى سنة ٢٠٠٠ ق م قد أعادت بناء بابل وجعلتها أعظم من مدينة نينوى عاصمة آشور التى بناها زوجها ، وهذه على كل حال رواية مشكوك فى صحتها . وكانت بابل فى أول أمرها قرية صغيرة كغيرها من القرى ، وكانت مقراً للإله مردوخ ، جعله هكذا العمونيون الذين ينتمى إليهم حمورابى ، وقد اتخذها عاصمة له ، ولما انتشر سلطان العمونيين وعظم شأنهم عظم شأن هذه المدينة أيضاً ، وعظمت قيمتها الدينية ، واحتل إلهها مردوخ المكانة التى كان يحتلها انليل فى العظمة ، فكان يطلق عليه إله الآلهة أو رب الأرباب . وقد شيد فى أرض الجزيرة مدن أخرى أقيم فى وسط كل منها برج شامخ ضخم ذو سبع طبقات يسمونه زقرتا(٢)

---

(١) سرجون الأول (٢٤١٤ — ٢٣٥٨ ق.م) .

(٢) الزقورتا : كان المعابد على نوعين : المنخفض ، ويبنى على الأرض مباشرة ، والمعبد العالى ، ويبنى على مصطبة تكون أساساً له . ومن أهم المعابد العالية برج المعبد (زقورة **Ziqqurat**) على شكل هرم مدرج تتراوح طوابقه بين ثلاثة وسبعة . وأشهر معابد هذا النوع مابنى بمدينة بابل واسمها (اتمنأنكى **E - temen-an-ki**) .

(راجع موسكاتى ص ١٠٩) .

أى العظمة ، وهذه الكلمة آشورية مأخوذة من الفعل زقر بمعنى علا أو ارتفع فالزقورتا حينئذ هيكل أو معبد ضخم مشيد رمزاً لتعظيم الآلهة ، وكذلك كانت الحال فى مدن كلديا .

ثالثاً : أشهر مــدن أرض الجزيرة (ميزوبوتاميا) :

١ — آشور : العاصمة وتدعى اليوم قلعة شرجات ، وتسمى فى بعض كتب التاريخ شهر كرد أو شهر قرد .

٢ — كالاخ (١) : بعض الناس يسمونها كالاح ، وكذلك يسمونها كلخى ، وتدعى اليوم مدينة نمرود ، وكانت تقع عند مصب نهر الزاب الأعلى فى نهر دجلة ، وقد اتخذها أشور ناصر بعل الثالث الآشورى (٨٨٥ — ٨٦٠ ق.م) عاصمة لملكه .

٣ — نينوى (٢) : العاصمة الثانية لآشور التى قيل أن نينيب مؤسس الدولة الآشورية هو الذى بناها ، وقد جدد بناءها ، ووسع بقعتها ، وجعلها عاصمة الملك سنحاريب الآشورى الذى حكم (٧٠٥ — ٦٨١ ق. م) .

وكانت نينوى تقع على الجانب الأيسر من دجلة بحذاء الموصل . ومن أهم مآثر سنحاريب أنه عنى عناية كبيرة بتجديد المدن .وإقامة الهياكل والقصور الفخمة وحفر القنوات . وكانت نينوى فى مقدمة المدن التى بذل جهود جبارة فى تجديدها ثم جعلها عاصمة ملكه بدلا من مدينة (دور شركينا) أو (دور سرجون) التى كانت عاصمة الملك فى أيام أبيه سرجون الآشورى

---

(١) كلخ (كالح كما ورد فى سفر التكوين ١٠ — ١١) (النمرود) : وجد بها تمثال الملك الآشورى أشور نصر بال ، وهى على الضفة الشرقيه لدجاه ، غير بعيدة عن مصب فرعه الزاب الكبير . كانت العاصمة الثانية لآشور) أسسها شلمنصر الأول (١٢٧ — ١٢٤٤ ق.م) ، وأعاد أشور نصربال الثانى (٨٨٤ — ٨٥٩ ق.م) بناءها ، واتخذها عاصمة جديدة له . (موسكاتى ص ٢٤٩) .

(٢) نينوى : استولى عليها الميديون عام ٦١٢ ، وخربوها ، وبهذا بادت الامبراطورية الآشورية . ونينوى تدعى اليوم **(Kuyunjik)** تجاه الموصل .

الذى يوصف بأنه سرجون الثانى (٧٢٢ — ٧٠٥ ق.م) ، وهو الذى تم على يريد القضاء على مملكة إسرائيل الأولى . وقد استعان سنحاريب فى تجديد نينوى بالأسرى الذين حملهم من البلاد التى غزاها ، وبما كان يرسله إليه ولاة الأقاليم الخاضعون له من مواد البناء ، وقد شمل التجديد طرقات المدينة وجميع أزقتها وقنواتها وقصورها وهياكلها وماأقيم فيها من مسلات . ويمكن أن يقال إن قصره الذى شيده هناك كان من عجائب الدنيا فى ذلك العصر ، فقد زين بجميع ضروب الزينة من تماثيل الأسد وتماثيل الثيران التى كانت تمثل بأنها ذات أجنحة ضخمة وكذلك تماثيل كثيرة ذكوراً وإناثاً ومشاهد الصيد ومشاهد المعارك الحربية ومحاصرة المدن وفتوح البلدان وأماكن الذبح ومجالس الاجتماعات . وغرس إلى جانب القصر بستاناً عظيماً فسيحاً فيه جميع أنواع الأشجار المثمر فيها وغير المثمر مما كان ينبت فى جبال سوريا وفى سهول بابل كالأرز والصنوبر والسرو والنخيل والرمان والتفاح وغيرها مما لا يمكن حصره من أنواع الأشجار .

وجعل فى البستان حظائر وأشباه كهوف وجلب إليها أنواعاً كثيرة من حيوانات الصيد ومن خنازير والايله (غزال برى) ، وكان يلهو فى بستانه ، يصيد هذه الحيوانات وهو فى قصره . وأقام فى البستان حوضاً كبيراً تأتى إليه القنوات الكثيرة فائضة بالماء من خارج القصر ، وكانت الجداول لهذا السبب منتشرة فى جميع أنحاء البستان مما يساعد على نمو الزروع التى تظل خضراء طوال العام ، وتكسب البستان رونقاً وجمالا ، وكانت تسر الناظرين ، ويقال أنه حفر ١٨ قناة كانت تحمل المياه من كل جهة إلى نينوى وقصرها وبستانها . وكان هذا القصر مشيداً على التل المعروف الآن بتل كوينجيك بإزاء الموصل على نهر دجلة .

٤ — إربل : ويقال أنها مشتقة من (أربع إيل) أى أربع آلهة ،وقيل إنها سميت بذلك لأنه كان فيها هياكل لأربعة من الآلهة ، وتقع بين الزابين الأعلى والأسفل بين كالخ وآشور .

٥ — نصيبين : تسمى أيضاً صوبا ، وقد كانت مركزاً ثقافياً للمسيحيين النساطرة ، أتباع نسطور فى القرن السادس بعد الميلاد .

٦ — أورهاى أو الرها : يسميها اليونان إريا ، وكانت المركز الثقافى الثانى للمسيحيين مثل أختها نصيبين .

٧ — آن : وتسمى الآن ديار بكر ، ولاتزال على نهر دجلة .

موازنة بين جنوبى العراق وشماله

لقد كان للمظاهر الجغرافية التى وضعناها فيما مضى آثار بارزة فى مجرى تاريخ الحضارة فى العراق القديمة والحديثة ، فقد كان القسم الجنوبى (كلديا) حافلا بالمدن الكبيرة ذات الشهرة العظيمة كما كان مسرحاً لقيام الحضارات الأولى التى سبقت غيرها من الحضارات كالقسم الغربى والجنوبى من آسيا ، وفى مقدمتها حضارة الشومريين والبابليين والآشوريين والكلدانيين (البابليين المتأخرين) .

كان هذا القسم أيضاً مطمع أنظار الفرس الفاتحين الذين استولوا عليه فى عهد كورش ، وفيه قامت دولة المناذرة العرب فى الحيرة التى كانت شديدة الصلة بالدولة الساسانية الفارسية . وقد كان أيضاً فى مقدمة الأقطار التى دخلها العرب بعد الإسلام ، وفيه قامت الدولة العباسية أعظم الدول الإسلامية .

ومن ثم نجد أن دولا عظمى قامت فى هذا القسم ، ولايخفى أن أهميته ترجع إلى خصوبة أرضه وصلاحيتها للزراعة ، وإمكان حصولها على المياه اللازمة للزراعة وإنبات الغلا ت الكثيرة بسهولة . يضاف إلى هذا كله وقوع هذا القسم على الخليج الفارسى الذى هو ممر مائى عظيم يسهل على العراق التجارة مع الدول الشرقية فى الهند ، وأفريقيا ، مثله فى ذلك مثل شمال وادى النيل الذى قامت فيه حضارات قديمة وحديثة .

أما القسم الشمالى وهو ميزوبوتاميا فلم يكن له حظ من الشهرة التاريخية والاستقلال العمرانى والاستغلال الزراعى ماكان للقسم الجنوبى لأنه قد خلا من تلك المميزات المتعددة التى امتازت بها أراضى العراق الجنوبية .

غـارات الأجانب على البـابليين

لقد كانت سنة تنازع البقاء والسلطان ذات أثر بالغ فى حياة الشعوب فى تلك العصور الخالية ، فكلما شعر شعب بشدة بأسه وقوة سلطانه وتفوقه على جيرانه أعد العدة للاعتداء عليهم ، وامتلاك أراضيهم . ومن ثم لم تكن حياة الشعب حينئذ حياة أمن واستقرار بل كانت فى الغالب حياة قلق وخوف واضطراب يسودها مايسمى بقانون الغاب .

وينطبق هذا المبدأ على حياة البابليين الساميين بعد امتزاجهم بالشومريين فقد كانت جحافل الغزاة تغير عليهم حيناً بعد حين .

١ — فقد أغار عليهم العيلاميون من جبال (نجاد) عيلام ، وأسسوا فى بلاد بابل دولة عيلامية (١) حكمت البلاد عدة سنين .

٢ — أغار الأشوريون من الشمال فى الفترة التى قوى فيها شأن آشور أى حوالى (٩١١ — ٧٤٥ ق.م) .

٣ — حكم هذه البلاد النمرود الجبار الذى اتخذ مدينة أور عاصمة له ، ولايعرف بالضبط الفترة التى تغلب فيها نمرود على بابل .

٤ — وفى أواخر القرن الخامس والعشرين ق.م قامت ببابل دولة حمورابى العظيمة الذى سنتحدث عنها فيما بعد .

٥ — وفى عصر متأخر أغارت قبيلة عيلامية ، وتسمى قبيلة كاسى من عيلام على بابل (٢) ، واستقرت بها ، وأسست هنالك دُولة ظلت تحكم البلاد عدة قرون ، وهى التى تسمى دولة الكاسيين . وقد عثر على لوحة

---

(١) الأسرة العيلمية : وكان بها ملك واحد حكم مدى ستة أعوام (٩٩٦ — ٩٩١ ق.م) ، وعرف كالملك الوحيد لأسرة بابل السابعة .

(٢) انتهت دولة بابل الأولى بإغارة الحيثيين عليها عام ١٥٣٠ ق.م تقريباً ، ثم انسحب الحيثيون ولكن لم تحظ بابل بالحرية طويلا بل سرعان ماخضعت لسيطرة الكاشيين ؛ وهم من الشعوب الشرقية عاشوا فى بابل فترة طويلة (١٥٠٠ — ١٠٠٠) .

دون عليها بخط مسمارى عدة كلمات مصحوبة بمعانيها من اللغة الكاسية ، وهى كلمات كان يكثر دورانها على الألسنة ، ولم تكشف بعد الفصيلة اللغوية التى كانت تنتمى إليها لغة الكاسيين . فقد اختلطوا بالبابليين ، وطال العهد على امتزاجهم وعلى الحكم الكاسى للبلاد حتى ظن بعض الباحثين أن الكسيديم الذين ذكروا فى التوراة أنهم كانوا يحكمون بابل هم هؤلاء الكاسيون المغيرون . وقد فسرت على هذا الرأى كلمة (כשד) على أنها مركبة من كلمتين : (الأولى (כש) ، والثانية (ד)) أى بلاد الكاسيين.

ولكن هـــذا التفسير مشكوك فى صحته ، والمرجح أن الكلمة العبرية (כשד) مشتقة من كلمة آشورية هى «كسد» بمعنى غزا . ومن ثم يكون معنى الكاسيين الغزاة الفاتحين لسهول بابل .

ونجد فى الترجمة السبعينية للعهد القديم أن كلمة كسديم هى (כשדים) العبرية تترجم إلى كلدانيين . وكان الإغريق يطلقون على بابل بلاد الكلدان ولكن الكلدانيين أنفسهم لم يكونوا فى نشأتهم الأولى من سكان بابل الأصليين ولم يعثر العلماء على اسم كلديا أو الكلدانيين على النقوش إلا فى القرن التاسع ق.م . وكان هذا الاسم (كلديا) يطلق على قبيلة كانت تقيم فى الأحراش الملحية التى كانت على مقربة من مصب نهرى دجلة والفرات فى بحر فارس . وقد قدر لهذه القبيلة أن يكون لها شأن عظيم فى بابل ، ففى عهد زعيمها المسمى مردوخ بلادان السابق ذكره استولوا على بابل ، واستمر هذا الزعيم حاكماً شرعياً لها ١٢ عاماً حمى فيها البلاد من غارات الآشوريين من الشمال . ولكنه اضطر أن يفر من وجههم حين اشتدت وطأتهم على البلاد ، ومع أنه عاد إلى حكم بابل مرة أخرى ، فقد كان حكمه الثانى قصير الأمد انتهى بإغارة سنحاريب الآشورى (٧٠٥ — ٦٨١ ق.م) على بابل ، واستيلائه عليها عنوة . ومن ثم أصبحت بابل تابعة للتاج الآشورى . على أن سلطان الكلدانيين لم يقف عند هذا الحد ، ولم ينقرض تماماً بل إنهم ظهروا فى الميدان

مرة أخرى ، واستولوا على بابل وأسسوا بها دولة عظيمة هي الدولة البابلية الثانية أو الكلدانية التي ظهر أمرها في عهد بختنصر .

ويرجح العلامة ونكلر (Winkler) أن بختنصر (١) وأسرته من أصل كلداني ، وإلى هذا يعزى ما كان للكلدانيين من مكانة رفيعة في بابل ، وما كان لاسمهم من شهرة فائقة في التاريخ القديم بوجه عام حتى أن مؤرخي اليونان والرومان لم يعتدوا بسواهم من حكام بابل ، وكانوا يطلقون اسم الكلدانيين على سكان بابل جميعهم ، ويسمون تلك البلاد كلديا ، ولغتها الكلدانية . وبذلك أحيوا اسم الكلدانيين ، وأماتوا أسماء غيرهم ممن استوطنوا بابل ، ولذا نرى أن البابليين يسمون الكسديين في النصوص العبرية القديمة ، ويسمون الكلدانيين في الترجمة اليونانية السبعينية للعهد القديم .

ومن المرجح بل يكاد يكون من المؤكد أن الكلدانيين ينتمون إلى الجنس السامي وبخاصة معظم هؤلاء الذين يسميهم العهد القديم الكسديين (راجع سفر التكوين ١١ : ٣١٠) .

رابعاً : يؤخذ مما ذكر في الفصل العاشر الفقرة السابق ذكرها (٢٢) أن أرفكشاد هو ابن سام لأن سام كان له خمسة أولاد منهم أرفكشاد ، وهو ثالثهم وذكره بعد آشور يشير إلى أن قبيلتيهما كانتا متجاورتين جغرافيا ، ويرى بعض العلماء أن كلمة أرفكشاد يجب أن تؤخذ على أنها مركبة من كلمتين في الأصل هما : أرفا ، كشد . الأولى مضاف والثانية مضاف إليه . ومعنى الأولى غير معروف على وجه التحديد ، ولم يرد في النصوص الآشورية مايلقي ضوءاً على معناها ، وإن كان شريدر (Schrader) يقول بوجود

---

(١) بختنصر Nebukadnezar I ، وهو الاسم التوراتي للملك (Nabukudurriussur) (١١٢٨ — ١١٠٦) سحق الملك (Hutelutusch-Inschuschinak) ملك عيلام .

والقبائل الكلدانية متصلة النسب بالأراميين ، كانت تشن الحروب على الآشوريين من وقت إلى آخر حتى وصلت إلى الحكم باسم الدولة البابلية المتأخرة . وقد انهارت في نهاية القرن الثامن أمام الزحف الآشوري .

علاقة بينها وبين الكلمة العربية (أرفة) بمعنى الحد الفاصل . ويرى أن معنى هذا التركيب الإضافى (أرفة كسد) أى تخوم كسد أى البلاد الواقعة على حدود كسد أو على حدود الكسديين .

وإذا صح هذا الرأى كانت قبيلة أرفكشاد قبيلة من الساميين كانت تجاور الكلدانيين . أما من الجهة الشرقية أو من الجهة الجنوبية ، وقد فقدت هذه القبيلة ، ولم يبق من آثارها شئ يذكر .

خامساً : بعد أرفكشاد نجد اسم لود الذى قد يراد به الليديون (١) . ويرى بعض النقاد أن ذكر لود بين أبناء سام خطأ إذ لم تكن هناك علاقة مطلقاً بين الكلدانيين والليديين . فلا شك أن الكلدانيين كانوا يتكلمون بلغة سامية وإن عاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم كانت تشبه عادات الساميين وتقاليدهم وأخلاقهم . أما الليديون فلم يكونوا كذلك ، وتدل لغتهم على أنهم كانوا ينتمون إلى جنس آخر غير سامى مثلهم فى ذلك مثل العيلاميين . ويظن هؤلاء النقاد أن كلمة لود محرفة عن كلمة أخرى قد تكون (نود) ومعناها (أرض التشريد والتيه) من الفعل (נָד) بمعنى تشرد أو ساح فى الأرض أو سلك فى حياته مسلكاً بدوياً أو من كلمة أخرى هى منده (מנדה) بمعنى بدو أيضاً ، وربما يكون ذلك هو مايشير إليه سفر التكوين (٤ : ١٦) حيث يقول إن قابيل خرج وسكن فى أرض نود شرقى عدن ، وهى بلاد كانت فى الشمال الشرقى من بابل ، وكانت أرضاً صحراوية .

سادساً : ذكر فى الفقرة (٢٢) أيضاً اسم آرام على أنه آخر أبناء سام ، وإليه ينسب الآراميون ، ويطلق اسم الآراميين على القبائل التى كانت

---

(١) الليديون : كانوا يشغلون سهل سارديس عند سفح تمولس وبيلوس ثم أخضعوا ساحل أيونيا لحكمهم ، وامتد ملكهم أيام كرويسويس (Croesus) حتى اشتمل على آسيا الصغرى قرب هاليس باستثناء ليكيا . وكرويسوس فيما يعتقد هو أول من استحدث صب السبائك الذهبية ذات الوزن الواحد وطبع الصور عليها .

تستوطن القسم الشمالى الشرقى من جزيرة العرب ثم هاجرت من تلك الجهات ، وانتشرت فى الجهات الأخرى الواقعة إلى الشمال والغرب من موطنها الأصلى ، واتسعت أملاكها حتى امتدت إلى آخر حدود بابل من جهة الغرب ثم إلى ميزوبوتاميا شمالا وإلى سوريا إلى الجنوب الغربى ، وأقامت بعض قبائلهم فى أرض بابل نفسها . ويسمى الآراميون فى النقوش القديمة بأسماء منها (آروم — آرامو — ارما) .

ويظن أنهم هم المسمون «إرم ذات العماد» فى القرآن ، ومما تقدم ندرك السبب فيما كان بين الكلدانيين والكسديين وبين الآراميين من صلات تكثر النصوص العبرية من ذكرها (١) .

النص الثانى من الإصحاح العاشر — الفقرة (٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠) .

«وأرفكشاد ولد شالح وشالح ولد عابر . ولعابر ولد ابنان . اسم الواحد فالج لأن فى أيامه قسمت الأرض . واسم أخيه يقطان . ويقطان ولد الموداد وشالف وحضرموت ويارح . وهدورام وأوزال ودقلة . وعوبال وأبيمايل وشبا . وأفير وحويلة ويوباب . جميع هؤلاء بنو يقطان . وكان مسكنهم من ميشا حينما تجيء نحو سفار جبل المشرق» .

التعليـــــق :

المراد من ميشا حتى جبل المشرق مايشمل المقاطعات الواقعة فى الجنوب الشرقى من جزيرة العرب مما يلى الجنوب من نجد . وكانت القبائل الثلاث عشرة المنحدرة من يقطان أو قحطان تقيم بتلك المقاطعات . ومن بين هذه القبائل حضرموت التى تسمى بلاد حضرموت المعروفة بها الآن . وكانت أوفر تحتل مرفأ بحرياً اشتهرت فى التاريخ القديم تصل إليه البضائع من الشرق الأقصى .

والمراد بحويلة بلاد الأحقاف أى البلاد الرملية ، وكانت إقليماً يحيط به

---

(١) سنتحدث بالتفصيل عن الآراميين ودولهم فيما بعد .

نهر تسميه التوراة نهر فيشون (راجع تك — ٢) . وكان أبناء إسماعيل يحتلونه فيما بعد (راجع تك ٢٥ — ١٨) .

وشيباهى سبأ التى تنسب إليها الدولة السبئية ، وكانت عاصمتها مدينة (مأرب) ذات السد العالى المشهور باسم (سد مأرب) فى الركن الجنوبى من الجزيرة العربية (الغربى) الذى ترتب على تصدعه إغراق جميع الأراضى الجنوبية ، وهجرة كثير من القبائل القحطانية إلى الشمال فى العراق والحجاز والشام ، وكان منهم المناذرة والغساسنة والأوس والخزرج .

وقد قامت دولة سبأ بعد انقراض الدولة المعينية فى القرن العاشر ق.م . وكانت أملاكها تمتد إلى شمالى الجزيرة العربية فى عهد تجلات بل عزر ، وسرجون الثانى الآشوريين ، وكانت حدودها من الشمال تتاخم ملك سليمان من جهة الجنوب فى عهد بلقيس ملكة سبأ التى ذكرت فى القرآن .

أما ميشا التى تسمى أحياناً ماش التى ابتدأت من عندها أملاك أبناء يقطان فقد سميت باسم ماش أحد أبناء آرام الأربعة (تك ١٠ — ٢٣) . وقد تكرر ذكر كلمة ماش فى النقوش الآشورية ، وكان يقصد بها الجزء الشمالى من جزيرة العرب الذى كان يسمى (أرض بطره) أى أرض بلاد العرب الصلبة وباليونانية (Arebie Betra) . ويسميها بعض مؤرخى العرب «بلاد سلع» أى بلاد الصخر . وكانت بطره عاصمة الأنباط الذين يسميهم العرب «عرب بطره» . وهم فريق من العرب الآراميين ، كانوا يسكنون شبه جزيرة طور سيناء ، وكانت أملاكهم تمتد جنوباً حتى تتاخم أرض نجد فى قلب الجزيرة العربية ، ويذكر سرجون الآشورى أن فتوحاته امتدت حتى شملت أرض ماش جميعها ، ووصلت إلى نهر مصر (نهر النيل) .

ماالطريقة التى اتبعها مؤلف الإصحاح العاشر من سفر التكوين فى سرد أسماء الشعوب والقبائل ؟

يتضح مما سبق أن الطريقة التى اتبعها المؤلف فى الإصحاح العاشر من سفر التكوين تقوم على أساس جغرافى أى أنه يذكر القبائل المتجاورة بعضها

وراء بعض ، كما يحصى تباعا أسماء الملوك الذين تجاورت بلادهم وإن اختلفت أنسابهم . ولهذا السبب ذكر العيلاميين فى عداد الساميين ، فإنهم لم يكونوا منهم ، وإنما كانوا مجاورين لهم فى الديار ، وكانت بينهم وبين العيلاميين علاقة تجارية وسياسية كما سبق . ومثل ذلك يقال عن الليديين وأبناء أرفكشاد .

ولم يتخط المؤلف هذه الطريقة إلا فى حالة واحدة هى حالة النمرود ابن كوش (من أبناء حام) وكان جباراً عنيداً قيل عنه فى التوراة أنه كان جباراً أمام الرب (تك ١٠ — ٥٨) . فالمؤلف يذكر نمرود فى قائمة أنساب الحاميين مع أن البلاد التى استولى عليها كانت مجاورة لبلاد الساميين ، وقد ورد فى بعض فقرات من سفر ميخا أن أرض آشور كانت مجاورة لأرض نمرود .

«إذا دخل آشور أرضنا وإذا اقتحم قصورنا نقيم عليه سبعة رعاة ، وثمانية من كبراء الناس فيحرسون أرض آشور بالسيف وأرض نمرود فى أبوابها » ميخا — ٥٤ .

فأرض نمرود كانت فى المنطقة الوسطى منطقة أبناء سام مع أن كاتب هذا الإصحاح يذكره فى عداد الحاميين الذين يسكنون المنطقة الجنوبية . وذكر أنه « وكان ابتداء مملكته بابل وأرك وأكد وكلنة فى أرض شنعار » تكوين ١٠ — ١٠ . أما أرك وبابل وأكد فكانت فى الجزء الشمالى من كلنة ، وأما كلنة فكانت فى الجنوب .

أشهر القدامى من ملوك العراق

أولا : من ملوك أكـــد :

١ — شركينا أوسرجون (١) الأول بن ايشبيل (٣٧٨٠ — ٣٧٥٠ ق.م) ومعنى شركينا الملك العادل ؛ وكان سرجون هذا هو المؤسس للدولة السامية الأولى فى آسيا بدأ ملكاً على أكد وحدها ، ثم امتد ملكه حتى شمل جميع بلاد كلديا الجنوبية ، ثم بلاد الآشوريين فى الشمال ثم بلاد الحيثيين وسوريا والفينيقيين فى الشمال الغربى ، وقد عنى بإقامة الهياكل الفخمة وتشييد القصور الشاهقة ، فبنى فى كل من أكد ونبور هيكلا عظيماً للإله بل (بعل) وشيد فى بابل نفسها قصراً عظيماً صار فيما بعد مقبرة للملوك ، وعمر فى كلديا مدينة عظيمة سماها «دور شركينا» ؛ وتروى عن ولادة هذا الملك ونشأته الأولى قصص وروايات لم تثبت بعد صحتها .

٢ — نارسين بن سرجون الأول (نارام سين) (٢) ؛ وقد خلف أباه فى الحكم سنة ٣٧٥٠ ق.م واتبع سبيل أبيه فى شدة البأس ومتابعة الغزو وبناء الهياكل ، وأخضع المارقين من العيلاميين ، وفتح مدينة بيراق على ساحل الفرات ، وقتل ملكها وأسر سكانها ، وقيل إنه أغار على مصر ورجع منها بالغنائم الوافرة وبنى هياكل فى نبور وأكد وسبار .

---

(١) سرجون Sargon أو Scharrukin ٢٤١٤ — ٢٣٥٨ : تذكر الروايات المتأخرة أنه ابن غير شرعى لإحدى الأميرات ، خافت عليه ؛ فوضعته فى صندوق وألقت به فى نهر الفرات ؛ فالتقطه بستانى ورباه وعمل بعد أن شب فى البلاط الملكى ، ولكنه لم يقنع حتى استولى على الملك من الكاشيين عام ٢٤١٤ وحكم ستة وعشرين عاماً (تاريخ العالم حـ ١ ص ٥٤٧ — فون سودن) .

(٢) نارين : تولى الحكم بعد سرجون ابناه ريموش Rimush (٢٣٥٨ — ٢٣٤٩ ق.م) مانشتوشو Mamischtuschu (٢٣٤٩ — ٢٣٣٤) ، ثم تولى نارام سن Naramsuen (٢٣٣٤ — ٢٢٩٧ ق.م) الحكم بعد أبيه مانشتوشو ، وتسلم الحكم بعد أن قتل أباه وعمه ، وكانت الثورة تشتعل ضده فقضى عليها ، وقاد جيوشه لغزو المناطق الشرقية متخطياً الحدود التى امتدت إليها مملكة جده ، كما غزا مكان Makan (عمان الآن) بمساعدة الأسطول ، وأخضع كردستان وآشور وسوريا حتى البحر لحكمه ، وتسمى باسم «ملك أطراف العالم الأربعة Konig der vierwelt rander ولعل المعنى بذلك شاطئ الخليج الفارسى وشاطئ البحر الأبيض وجبال أرمينية الشاهقة ، وجبال إيران (تاريخ العالم حـ ١ ص ٥٤٩ — فون سودن) .

ثانياً : من ملوك بابل :

كانت مدينة بابل أعظم مدن آسيا وأبعدها أثراً وأرفعها قدراً وأكثرها وأوسعها عمراناً وأمنعها عزة وسلطاناً ، صاحبت الملوك دهراً طويلا وتقلبت فى أحضان النعيم والعز أمداً بعيداً حتى لم يكن لها مثيل بين المدن التى تقدمتها أو عاصرتها ، وأشهر ملوكها :

أسرة حمورابى (١) (امرافيل) التى بدأت حكمها فى بابل فى أواخر القرن الخامس والعشرين ق.م ، وهى الدولة السامية الثانية ، ويقال إنها عربية الأصل هاجرت من بلاد العرب ، ودخلت كلديا الجنوبية ، وكان أول ملوك هذه الأسرة «سومر أبيم» (٢٤١٦ — ٢٣٨٥ ق.م) ، وكان خامسهم «سين موبوليت» (٢٣١٧ — ٢٢٨٧ ق.م) وفى عام هذا الملك الأخير أغار العيلاميون حوالى سنة ٢٢٩٥ ق.م على بابل وأخضعوها لسلطانهم وظلوا كذلك حتى جاء حمورابى الذى تولى الملك بعد وفاة أبيه سين موبوليت ، وظل يحكم بابل حوالى خمس وخمسين سنة .

---

(١) أسرة حمورابى : أسسها سموآبوم Samuabum (١٨٩٥ — ١٨٨١) ثم تولى بعده سومولاايل sumbulael (١٨٨١ — ١٨٤٥) ثم سن موباللت Sinmoballit (١٨١٣ — ١٧٩٣) . وأتى بعد حمورابى Hammurabi (١٧٩٣ — ١٧٥٠) ، أى أن حمورابى هو الملك الرابع بالأسرة ؛ والخامس هو سمسويلونا sansuiluna (١٧٥٠ — ١٧١٢) وقد ورث حمورابى عن أبيه دولة صغيرة تقع بين دولتين قويتين : دولة شمس أداد الآشورى ، وامبراطورية رمسين Rimsin حاكم لاريام ، ولكن حمورابى انتهز فرصة مرض شمس أداد وهجم على الامبراطورية الآشورية بلا تفكير واحتل ثغر الفرات رابيكوم الواقع على الحدود بعد استيلائه على ثغر دجلة ماجلوم ذى الموقع الحربى الممتاز ، ثم حارب حلفا من عيلم وأشنونا وآشور وإيران سنة ١٧٦٤ واستطاع مع جيرانه مولاة إنتصاراته حتى عام ١٧٥٦ ق.م حين خرب دولة أشنونا Eschnunna تغلباً على ملكها ، ثم أخلد إلى السكينة بعد أن أمن أعداءه ، واتجه إلى تحصين قلاعه بشمال بابل وإلى تعمير البلاد المفتوحة .

إبل بعل Ipalpi'el (١٧٨٧—١٧٧٠)وهو ابن ددوشاش Daduschas(١٨١٥—١٧٨٧) الذى حكم بعد أخيه نرامسن Naramsin (١٨٢٥— ١٨١٥)، أما مؤسس اشنونا فهو أبوهما ابيقاداد الثانى Ipiqadad II حوالى ١٨٤٠ ق.م ، بعد سقوط دولة سن Isin (فون سودن ، تاريخ العالم ح ١ ص ٥٧٨) .

ويرى بعض المؤرخين أن حمورابى من قبيلة العموريين ، وأنه هو امرافيل الذى يروى فى الإصحاح الرابع عشر من سفر التكوين أنه كان ملك شنعار فى عهد إبراهيم (تك ١٤ — ١٠) . وكان حمورابى حازماً شجاعاً فما أن جلس على سرير الملك حتى عقد العزم على طرد العيلاميين من بلاده ، ونشب قتال عنيف بينه وبين «ريم سين» العيلامى . وهزم جيش العيلاميين هزيمة منكرة ، وأجلاهم عن وطنهم ، وتتبعهم فى عقر دارهم ، ودك حصونهم ، واستولى على بعض أراضيهم مما يلى شرقى دجلة ، وأقام على ذلك النهر حصوناً منيعة لصد هجمات الأعداء .

وامتدت أملاكه حتى شملت كلديا كلها وآشور وسوريا وقسماً من عيلام ، ووصلت الدولة البابلية أو الكلدانية الأولى فى عهده إلى أعظم درجة من الثراء والنعيم والترف والثقافة العلمية والفنية وغير ذلك مما لسنا فى حاجة إلى ذكره وبخاصة قانونه أو شريعته الذى اشتمل على جميع ماسنه السابقون من الشرائع المدنية وزادت عليه .

مآثـــره :

وقد شملت عناية حمورابى بناء الهياكل وحفر القنوات حتى قيل إنه لم يترك مدينة فى مملكته إلا وقد خلف فيها شيئاً من مآثره ، وفى مقدمة مابنى من الهياكل هيكل فخم أقامه فى مدينة بابل للإله «مردوخ» ورفيقته «زربانيت» .

ومن أهم القنوات التى أنشأها خليج عظيم أطلق عليه اسم نهر «حمورابى» حفره من بابل إلى الجنوب للملاحة ورى الأراضى بنظام ، وقد عثر فى أحد جدرانه على قطعة كبيرة من الآجر نقش عليها ماترجمته بإيجاز :

«أنا حمورابى القدير ملك البابليين القابض على أزمة الأقطار الأربعة بابل وايرخ وأكد وكلديا ، وقاهر المناوئين لمردوخ إلهى ، وناصرى . وقد كريت (طهرت) نهر حمورابى الذى كان سبباً فى عزة البابليين ، وبلغت به أرض الشومريين والأكديين فأمرعت به الفيافى القاحلة ، وناديتهم أن أقيموا فى رغد وخصب فهذه أرضكم أرض النعيم والسعادة » .

ثالثاً : ملوك الدولة الآشورية : (١٤١٨ — ٦٠٨ ق.م) أى مايزيد قليلا على ثمانية قرون . وقد نشأت الدولة الآشورية فى أول أمرها على الضفة الشرقية من نهر دجلة ، وكانت أشهر مدنها آشور وكالخ ونينوى ، وكانت آشور أقدمها .

ومن الأساطير المروية عن تاريخ آشور القديمة أن مؤسسها رجل اسمه «نينيب» مؤسس مدينة نينوى ، وقد شاركته زوجته فى الملك «سميرام» مجددة مدينة بابل ، وكان بدء هذه الدولة على حسب هذا الرأى حوالى ٢٠٠٠ ق.م ولكن هذا كله لم تثبت صحته على وجه اليقين .

ومن المعروف أن آشور ، وهى البلاد التى كانت تقع فى الجزء الشمالى من بلاد العراق كانت فى أول أمرها تابعة للدولة البابلية ، وأنها لم تحظ بحياة سياسية مستقلة حقيقية إلا فى أواخر القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، ومنذ ذلك الحين بدأ الصراع بين الدولتين البابلية والآشورية ، واستمر إلى أواخر القرن الثانى عشر قبل الميلاد أى حوالى ثلاثة قرون ، وذلك حين ظهرت الدولة الآشورية المستقلة الأولى التى استمر حكمها مايزيد قليلا على قرن ونصف قرن ثم قامت دولة ثالثة حكمت البلاد مايقل قليلا عن قرن ونصف قرن أيضاً .

وفى حوالى ٦٠٨ ق.م ضعف شأن الدولة الآشورية ومازالت تضعف حتى انتهى أمرها وحلت محلها الدولة الكلدانية أو البابلية الثانية . ومن ثم يمكن أن يقسم تاريخ شور إلى أربعة عصور هى :

(١) ملوك الدولة الآشورية (١٩١٥ — ٦٠٩ ق.م)
حكمت فى أواخر القرن التاسع عشر قبل الميلاد أسرة أكدية آشورية بالمنطقة الآشورية . ومؤسس هذه الأسرة هو Ilushuma (١٩١٥ — ١٨٩٠) وتلتها أسرة شمش أداد الأول Adad I — Schamshi (١٨١٥ — ١٧٤٢) الذى كان معاصراً لحورابى . واستمرت هذه الأسرة تحكم حتى حوالى ١٧٠٠ ق.م وهى نهاية حكم أداس بلبانى Adasi Belbani وأصبحت فى القرن الخامس عشر تابعة للحوريين بأرض ميتانى Mittani . وفى القرن الرابع عشر ق.م بعد أن قضى الحيثيون على سلطان ميتانى تمكن الأشوريون من الاستقلال تحت حكم أشور أبلط الأول Assuruballit I (١٣٦٦ — ١٣٣٠) واستمرت دولة الأشوريين حتى زالت بزوال حكم آشور أبلط الثانى عام ٦٠٩ .

(أ) عصر الملوك الأولين الذين كانوا شبه مستقلين ، ويمتد هذا العصر حوالى ثلاثة قرون أى (١٤١٨ — ١١١٥ ق.م) . ومن أشهر ملوك هـذا العصر :

١ — شلمنصر الأول (١٢٩٠ — ١٢٦١ ق.م) (١) .

٢ — تيجلات نينرتا الأول (١٢٦١ : ١٢٤٠ ق.م) (٢) .

(ب) عصر الدولة الآشورية الكبرى الأولى ، ويمتد حوالى قرنين أى من (١١١٥ — ٩١١) . وأشهر ملوكها :

١ — تيجلات بل عازر الأول (١١١٥ — ١١٠٠) (٣) .

(حـ) عصر الدولة الآشورية ، ويمتد من حوالى (٩١١ — ٧٤٥ ق.م) . ومن أشهر ملوكها :

١ — أداد نيرارى الثانى (٩٠٠ — ٨٩٠) (٤) .

٢ — تيجلات نينرتا الثانى (٨٩٠ — ٨٨٥) (٥) .

٣ — أشور ناصر بعل الثالث (٨٨٥ — ٨٦٠) .

٤ — شلمنصر الثالث (٨٦٠ — ٨٢٥) .

(د) عصر الدولة الآشورية الكبرى الثالثة ، وقد امتد حوالى (٧٤٥ — ٦٠٨ ق.م) أى مايزيد قليلا على قرن . وأشهر ملوكها :

١ — تيجلات بل عزرا الثالث (٧٤٥ — ٧٢٧) .

٢ — شلمنصر الخامس (٧٢٧ — ٧٢٢) .

٣ — سرجون الثانى (٧٢٢ — ٧٠٥) (٦) .

---

(١) شلمنصر الأول Salmanassar I (١٢٧٦ — ١٢٤٦) .

(٢) تكلت نينرتا الأول Tukultuninurta I (١٢٤٦ — ١٢٠٩) .

(٣) تيجلات بلارز الأول Tiglatpilesar I (١١١٧ — ١٠٧٨ ق.م) .

(٤) أداد نيرارى الثانى Adadnerari II (٩١٢ — ٨٩١ ق.م) .

(٥) تكلت نينرتا الثانى Tukultininurta II (٨٩١ — ٨٨٤ ق.م) .

(٦) سرجون الثانى Sargon II (٧٢٢ — ٧٠٥ ق.م) .

٤ — سنحريب (٧٠٥ — ٦٨١) (١) .

٥ — أسرحدون بن سنحريب (٦٨٠ — ٦٦٨) (٢) .

٦ — آشور بانيبال بن أسرحدون (٦٦٨ — ٦٢٧) (٣) .

وفى عهده أخذت الدولة الآشورية فى الضعف والانحلال .

وقد بلغت الدولة الآشورية أوج عظمتها ، ووصلت إلى درجة امبراطورية عظيمة فى ثلاث فترات :

١ — الأولى فى عهد تجلات بل عزر الأول .

٢ — الثانية فى عهد أداد نيرارى الثانى .

٣ — الثالثة فى عهد تجلات بل عزرا الثالث .

وانحطت منزلة هذه الدولة ، وصارت دولة من الدرجة الثانية فى فترتين :

١ — الأولى فى عهد خلفاء تجلات بل عزرا الثانى (١١٠٠ — ٩٠٠) (٤)

٢ — الثانية فى عهد خلفاء شلمنصر الثالث (٧٨٢ — ٧٤٥) (٥) .

رابعاً : من ملوك الدولة الكلدانية (٦٠٨ — ٥٣٨) (٦) .

١ — نيبوبل عازر (٦٠٨ — ٦٠٤ ق.م) (٧) بقيت الدولة البابلية خاضعة للدولة الآشورية إلى عهد أشور بنى بال بن أسرحدون السابق ذكره ، وهو الذى ولى على بابل رجلا من أسرة عريقة فى الشرف اسمه نيبوبل عزر ، وقد لبث هذا والياً على بابل خاضعاً للآشوريين حتى حوالى ٦١١ ق.م ، وذلك حين بدت على الدولة الآشورية علامات الضعف وتحالف البابليون

---

(١) سنحريب Sanherib (٧٠٥ — ٦٨١ ق.م) .

(٢) أسرحدون Assarhaddon (٦٦٩ — ٦٨١ ق.م) .

(٣) آشور بانيبال Assurbanipal (٦٦٩ — ٦٢٧ ق.م) .

(٤) تجلات بلازر الثانى Tiglatpilesar II (٩٦٨ — ٩٣٥ ق.م) .

(٥) شلمنصر الثالث Salmanassar III (٨٥٩ — ٨٢٤ ق.م) .

(٦) حكم ملوك الدولة الكلدانية (٦٢٩ — ٥٣٩ ق.م) .

(٧) بنو بولاسر Nabupolasser (٦٢٦ — ٦٠٥ ق.م) .

والليديون وغيرهم على الآشوريين ، وهزموهم وأزالوا دولتهم حوالى سنة ٦٠٨ أى بعد قيام هذه الدولة بحوالى ثمانية قرون (١٤١٨ — ٦٠٨ ق.م) .

وحينئذ اقتسم المنتصرون ماغنموه من الآشوريين من بلاد وعتاد حربى ، وكان من نصيب نيبوبل عزر قسم من عيلام وبلاد مابين النهرين (آشور) وسورية وفلسطين .

٢ — بختنصر الأكبر (٦٠٥ — ٥٦٢ ق.م) (١) أدركت الشيخوخة نيبوبل عزر ، وخارت قواه وعجز عن إدارة شئون الملك الواسع الفسيح الذى كان يمتد من حوض دجلة شرقاً حتى ساحل البحر المتوسط غرباً . فاضطر إلى أن يحل محله ابنه بختنصر الذى يسميه العهد القديم نبوخذ نصر ، وكان حازماً شجاعاً فأحسن سياسة الملك وأرغم المارقين على العودة إلى طاعته ، وأعاد إلى مملكة أبيه ما كان قد انسلخ منها من سورية وفلسطين وغيرهما مما كان المصريون قد استولوا عليه من بلاده .

وفى سنة ٦٠٤ ق.م نعى إليه أبوه وهو فى إحدى غزواته فكر راجعاً حيث خلف أباه على سرير الملك ، وفى مقدمة أعمال بختنصر الحربية حروبه التى شنها على يهوذا مملكة بنى إسرائيل الجنوبية وانتصاره عليها مرة بعد أخرى انتصاراً دعا اليهود إلى العناد ، واستعانوا على بختنصر بغيرهم . ولما أصروا على عنادهم حاصر أورشليم عاصمة يهوذا ، وشدد الحصار عليها واستمر كذلك زهاء تسعة عشر شهراً حتى اضطرت إلى التسليم فدخلها ظافراً وقضى عليها ، ودمر قصر الملك فيها كما دمر الهيكل المقدس الأول ، وذبح نحو ستين من أعيان المدينة وحمل من بقى من سكانها أسرى إلى بابل ، وكان ذلك نحو ٥٨٦ ق.م ، وكان من قبل قد أسر نحو ١٠ لاف نسمة من أعيان اليهود وذوى الحرف والصناعات فيهم ، ولم يترك فى أورشليم إلا الفقراء والمعوزين .

وتطلعت عينه إلى ثروة الفينيقيين فقصد إلى صور ، وحاصرها وقضى فى حصارها نحو ١٣ سنة حتى اضطر الفنيقيين إلى التسليم فدخل المدينة وفعل

---

(١) بختنصر Nabukadnezar II (٦٠٥ — ٥٦٢ ق.م) .

بأهلها كما فعل بأورشليم وسكانها . وعلى إثر ذلك خضعت له سائر المدن والمستعمرات الفينيقية التى كانت على سواحل البحر المتوسط فى أفريقيا وأوربا . وقيل أن غزوات بختنصر قد امتدت إلى الحجاز واليمن فى بلاد العرب فاستولى عليهما ، وأجلى كثيراً من سكانهما إلى بابل ، وسخرهم مع من سخر فى إعادة بناء بابل .

ومع ما كان عليه بختنصر من أخلاق عالية فقد كان سريع الغضب متكبراً مغروراً بنفسه لايقبل عذراً ، وقد يشتد غضبه على مخالفه فيلقيه فى النار وفى أخريات حياته تحطمت قواه العصبية واعترته لوثة عقلية اعتقد معها أنه بهيمة فأخذ يصحب الأنعام فى مراعيها ثم اعتزل الحياة الاجتماعية تاركاً الأمر لابنه ، وعكف على سكنى البوادى والقفار نحو سبع سنين . وبعد أن عاد إلى رشده لم يلبث أن مات عام ٥٦٢ .

وفى عام ٥٣٨ ق.م استولى الفرس على بابل فى عهد كورش وهو الذى سمح لليهود بأن يكونوا أحراراً فى العودة إلى بلادهم .

وفى عام ٣٣١ ق.م استولى اليونان على هذه البلاد فى عهد الاسكندر المقدونى الأكبر ، وحوالى سنة ٣١١ ق.م استولى السلوقيون خلفاء الاسكندر على بابل وما حولها ثم قام من بعدهم البارثيون عام ٢٥٠ ق.م .

وفى عام ٢٢٦ خضعت بابل وما حولها للدولة الساسانية واستولى المسلمون على فارس فى أواخر عهدها عام ٦٢٢ م فى أوائل القرن السابع الميلادى .

بعد وفاة بختنصر ضعف أمر الدولة الكلدانية الثانية فى عهد ابنه أميل مردوخ وخلفائه . ولم تزل تسير فى طريق الضعف والتدهور حتى ظهر كورش ملك فارس فاستولى على بابل مع ماستولى عليه من الممالك ، وبذلك سقطت الدولة الكلدانية الثانية حوالى عام ٥٣٨ ق.م فصارت بابل جزءاً من فارس ، وسمح كورش لليهود بالعودة إلى بلادهم إذا شاءوا . ولم يكن عجيباً أن تسقط هذه الدولة بسرعة بعد أن بلغت ما بلغت من مجد وعظمة فى زمن قصير لم يجاوز سبعين سنة إلا بقليل . وكان أهم أسباب سقوطها :

١ — أنها لم تكن تستند فى وجودها إلى أسس عمرانية اجتماعية سليمة ولا إلى مبادئ سياسية ثابتة تطيل أجلها بل كانت حياتها أقرب إلى الفوضى والهمجية .

٢ — أن رعاياها قد انشقوا على أنفسهم وتفرقوا طوائف وشيعاً متناثرة فكان الكهنة يريدون الاستئثار بالسلطان ، وكان يعارضهم فى ذلك فريقان هما الكلدان وأشراف البابليين القدماء .

٣ — أن الكلدانيين بوجه عام لم يكونوا ذوى جلد وصبر وقدرة بارزة على ممارسة الحروب الفنية مدة طويلة كما كان الأشوريون .

٤ — أن الدولة الفارسية كانت قد ظهرت فى ذلك الوقت الذى ضعف فيه شأن الدولة الكلدانية الثانية ، وظهر فى فارس كورش . وكان قوياً شجاعاً جباراً صاحب نفوذ عظيم وجيوش قوية جرارة كثيرة العتاد ، وفيرة الأعداد .

لهذه الأسباب وغيرها سقطت الدولة الكلدانية الثانية ولم يغن عنها شيئاً توسل نابو نيد (Nebonid) آخر ملوكها (٥٥٥ — ٥٣٩ ق.م) (١) إلى آلهته وتماثيلهم ، ولاذبح الذبائح وتقديم القرابين لآلهم العظيم بل .

وحوالى سنة ٥٢١ ق.م قامت فتنة أهلية فى بلاد فارس فلاحت للبابليين بارقة أمل فى استرداد استقلالهم وانتهزوا هذه الفرصة فشقوا عصا الطاعة على الفرس وأجلسوا على عرش بلادهم رجلا اسمه ند بنتوبيل ادعى أنه من ذرية نابونائيد ، ولقب نفسه بختنصر الثالث ولكن دارا (داريوش) الأول الفارسى ظهر وأعلن الحرب على بابل وحاصر عاصمتها ثم اقتحمها وقتل بختنصر هذا سنة ٥١٩ ق.م .

وبذلك عادت بابل إلى حوزة الفرس واستمرت كذلك حتى ظهر أمر أمر اليونان فى عهد الاسكندر الأكبر المقدونى ، وامتدت فتوحه حتى شملت فارس والهند وغيرهما من بلاد الشرق ، وكان استيلاؤه على فارس وأملاكها فى عهد دارا الثالث عام ٣٣١ ق.م .

---

(١) نابونيد Nabonid (٥٥٦ — ٥٣٩ ق.م) .

وبعد وفاة الاسكندر عام ٣٢٣ ق.م اقتسم قواد جيوشه مملكته فكانت بلاد الكلدان وسوريا من نصيب أحدهم المسمى سلوقوس مؤسس الدولة السلوقية .

وتدهورت الدولة السلوقية فى بابل وسوريا فى منتصف القرن الثالث ق.م فخرج عليهم البارثيون الذين كانت بلادهم إلى الشرق من بلاد الميديين حوالى عام ٢٥٠ ق.م . وانتهى الأمر بأن قضى البارثيون على السلوقيين ، وأسسوا بعض دويلات صغيرة فى سوريا وما حولها منها دولة أورهاى (الرها) ودولة تدمر (بالميرا) .

ثم ظهرت بعد ذلك الدولة الفارسية الساسانية فى أوائل القرن الثالث ب.م فقهرت الدولة البارثية ، وقضت عليها القضاء النهائى ، واستولت على أملاكها فى عهد أردشير أول ملوك الدولة الساسانية التى هى دولة الأكاسرة ، وكان ذلك حوالى سنة ٢٢٦ ب.م . وظلت بابل أو العراق تابعة لأكاسرة الفرس حتى جاء الإسلام فى أوائل القرن السابع الميلادى فاستولى المسلمون على فارس وممتلكاتها فى عهد الخليفة الثانى ، عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك بعد موقعة نهاوند التى حدثت سنة ٢١ هـ سنة ٦٤٣ م .

نظام التدوين عند الكلدان والآشوريين

كان القدماء من الكلدانيين والآشوريين يعتقدون كما كان يعتقد القدماء أن السماء جرم على شكل قبة ترتكز على الأرض ، وأن الأرض مستقرة فيما سموه الفضاء الأسفل أو الهاوية أو عالم الظلمات .

كما كانوا يعتقدون أن لكل من السماء والأرض والهاوية إلها يسيطر عليها وعلى مجموعة من الإلهة المتعادية المتباغضة الأقل منه منزلة ، فإله السماء كان يسمى «ذى أنا» ، وإله الأرض كان يسمى «ذى كيا» . أما إله الهاوية فكان

يسمى «انليل» (١) ، وكان يوصف بأنه المسيطر على الشياطين . وكانوا يطلقون على كل من هذه الآلهة اسم روح كما كانوا يعتقدون أن جهنم التى فيها يعذب الأشرار فى عالم الظلمات أو فى الهاوية .

ولما فتح الآراميون هذه البلاد شاعت دياناتهم فيها وكانت تقوم على الاعتقاد فى وجود ثالوث إلهى أيضاً . أما الإله الأعظم فكان اسمه «آنو» أبو الآلهة ، ورب الظلمات المسيطر على العالم الأسفل وعلى الكنوز الخفية فى السماء والأرض .

وأما الإله الثانى فهو بل «بعل» رب العالم الروحانى المسيطر على جميع الأقاليم وعلى جميع الأرواح فى العالم الثلاثة ، الأرض والسماء والهاوية .

أما الإله الثالث فهو (حيا) ، ويوصف بأنه الهادى إلى الرشاد العاقل رب العالم المسيطر على الحياة وعلى مافيها من معرفة ونبل ونور وحضارة .

وكانوا يرسمون صورة مجسمة لكل من هؤلاء الآلهة . فكانت صورة آنو على شكل إنسان ذى لحية طويلة كثة ، وذنب كذنب النسر ، وقد غطى رأسه برأس سمكة تدلت على كتفه وظهره .

وكانت صورة بل «بعل» على شكل ملك عظيم وقور يجلس على عرش فخم . وكانت صورة حيا ذات أجنحة أربعة مبسوطة . وكانوا يعتقدون أنه قد صدر عن كل من هذه الآلهة الذكور إلهة تشبهه لتكون شريكة له ورفيقة فشريكة آنو هى أنات ، ورفيقة بل نيلنى (نيل انى) ، ورفيقة حيا هى دوكيتا .

---

(١) إله السماء أنو Anu والهواء انليل Enlil ، والأرض أنكى أو إيا Enki, Ea والإله آنو (بالتميم Anum) ، هو إله السماء واسمه فى السومرية أن An . وهو ملك السموات وأبو السموات وإله السموات ، عرشه فى قمة قبة السموات وله السلطة واسم امرأته أنتم «Antum»

أما انليل Enlil فهو إله الريح . وهو أكبر آلهة السومريين . لقب بسيد البلاد ، وصار إله إله الجبل وإله الأرض . يفرض قانونه على سكان الأرض ، ويشرف على تنفيذ أحكامه . محارب عنيف يلقب بالثور الوحشى ، وزوجته Ninlil . وانكى إله الأرض وهو سيد الأرض .

ويلى هذا الثالوث فى المنزلة ثالوث آخر (١) هو : الأول «سين» إله القمر ، ويوصف بأنه الإله المنير القدير اللامع رب أيام الشهر ، والمسيطر عليها كلها . والثانى «شمشا» أى الشمس وهو المحرك للسماء والأرض المدبر لشئونهما . والثالث «أدادراى» إله الجو المسيطر على السماء والأرض أيضاً وعلى القنوات ونحوها ومايحدث فيها من فيضان وعلى الرياح العواصف والبرق والرعد وهو الذى يوزع الخصب على سطح الأرض .

ويلى هذا الثالوث الثانى مجموعة من الآلهة لكل منها وظيفة تنفيذية ويدخل فى هذه المجموعة :

١ — نينيب : وكانوا يلقبونه «المخيف» سيد الأبطال صاحب الحول والبطش مشتت الأعداء وقاهر العصاة ، وكانوا يصورونه فى شكل جبار يخنق أسداً .

٢ — مردوخ (٢) : وكان إلهاً عظيماً فى نظر البابليين يرفعونه إلى منزلة إلههم الأكبر بل .

٣ — نركال (٣) : البطل الكبير رب الحروب حامل أسلحة الآلهة وكانوا يصورونه فى شكل أبى الهول أى حيوان له رأس إنسان وجسم الأسد .

٤ — نيبو : هادى العالم إلى طريق الصواب ومنظم شئون الطبيعة والمسيطر على الشمس فى شروقها وغروبها ، المثل لكل ماهو طيب فى الأرض ، ومن على الشمس فى شروقها وغروبها ، المثل لكل ماهو طيب فى الأرض ، ومن ثم كان واجباً على الملوك أن يتخذوه قدوة حسنة .

---

(١) الثالوث المكون من أجرام سماوية هى الشمس والقمر وكوكب الزهرة . وإله القمر سين يعد أقدم هذه الآلهة الثلاث ، بل يعد أبا للآله الشمس ولكوكب الزهرة . وهو يأتى فى المرتبة بعد أنكى (أيا) .

(٢) مردوك : يسمى أيضاً بيل (السيد (ولم يبلغ إله فى الشرق القديم مابلغه من عظمة وقوة نفوذ . إنتشرت عبادته ابتداء من الألف الثانى قبل الميلاد ، وهو ابن أنكى (سيد الأرض) البكر ، وزوجته هى الإلهة سربانيتم Sarpanitum ، وابنه الإله «بنو» وقد ظلت عبادة مردوك وتبجيل زوجته وابنه فى المنطقة حتى عهد السلوقيين .

(٣) نرجال : مركز عبادته كانت مدينة كوتا .

٥ ـ استارا (استير) (١) : وكانت لها وظيفتان :

الأولى ، السيطرة على الحرب والعمل على النصر ، وكانوا يصورونها في أدائها لوظيفتها هذه راكبة أسداً ، وعلى رأسها تاج مرصع بالنجوم وفي يدها قوس وجعبة فيها السهام .

والثانية ، هي الهيمنة على التناسل وعلى تناول الملذات وكانوا يطلقون عليها اسماً يلائم هذه الوظيفة وهو (زربانيت) أو زرع مربنيتا ، وسيصورونها في آدائها لهذه الوظيفة في شكل امرأة عريضة الوجه تضع يديها على صدرها .

وكان بجانب هذه الآلهة العامة آلهة محليون لكل مدينة إله خاص مثل آشور إله مدينة آشور ، وعوز إله مدينة بابل ، وشربل آلهة مدينة إربل .

وكان من بين الكلدانيين والآشوريين فريق موحدون يعبدون إلهاً واحداً وكان بمدينة اريدو مدرسة العلماء تعلم الناس مبدأ الوحدانية وتقيم الصلوات لإله واحد أزلي أبدي لامبدأ لوجوده ولانهاية له .

(١) استير : هي الإلهة عشتر ، وكان السومريون يسمونها أنينا Innina أي سيدة السماء ، وهي أخت أشكيجل إلهة العالم السفلي . أما اشتر فهي إلهة الحب واللذة حين تكون إله المساء ، ترفع إلى العرش من تهواه من البشر ، ولكنها إلهة الحرب والقتل حين تكون إلهة الصباح .

الحرب والسياسة فى بابـــل وآشور

كان حكام الدول التى قامت فى أرض الرافدين من ملوك وأمراء عتاة جبابرة غلاظ الأكباد ، وقد ألفوا الحروب ، واتخذوا شن الغارات على غيرهم ديدناً لهم لايهدأ لأحدهم خاطر ولايطمئن له بال حين يشعر بالقوة ووفرة العدد والعدد اللازمة للحرب إلا إذا شن الغارة تلو الغارة على جيرانه يريد بها توسيع رقعة ملكه وإذلال من جاورهم من الملوك والاستيلاء على أملاكهم .

وكان الملك يرافق جيشه إلى ميدان القتال ، ويتولى بنفسه الإشراف على الجيش وإدارة العمليات الحربية . وكثيراً ماكان يتقدم المحاربين ، ويشجعهم على الإقدام ، ويحارب فى الصف الأول من صفوفهم ، وإذا منعه من ذلك مانع كمرض أو عمل آخر ضرورى للدولة أقام مقامه «الترتان» أى القـــائد الأول .

وكان الحكام فى تلك العصور قساة لايرحمون أعداءهم حين يظفرون بهم وكثيراً ماكانوا يأمرون بسلخ جلودهم أو صلبهم وسمل عيونهم . وقد كانوا يتنافسون فى ذلك ، ويتفاخرون به ، ويسجلونه نقشاً على الألواح كأنه من مآثرهم العظيمة التى كانوا يتقربون بها إلى آلهتهم .

فقد وجد فى إيران تمثال لأحد الملوك الأشوريين ، وقد وقف بين يدى الإله يجر وراءه أسيرا بحبل طوق به عنقه أو بكلابة فى أرنبة أنفه ويطأ بقدميه جثث غيره من القتلى . وقد وجد فى أحد نقوش «آشور بنيبال» (٦٦٨ — ٦٢٦) وصف بشع لانتصاره على ملك من أعدائه ورد فيه ماترجمته :

«قد ثقبت فمه بمديتى التى أقطع بها اللحم ثم جعلت فى شفته العليا حلقة من الصفر ، وربطت فى الحلقة سلسلة كما أفعل بكلاب صيدى» .

ويؤخذ من الآثار المنقوشة التى خلفها هؤلاء الملوك الأقدمون أنهم كانوا يميلون إلى الأبهة والظهور بمظهر العظمة والكبرياء فكانوا إذا جلس

الملك يجلس حوله زمرة من الوزراء ورجال الدولة ويحرسه حرس عظيم من حاشية وعبيد . وإذا خرج من قصره لغرض من الأغراض يركب عربة فخمة تجرها نخبة من الجياد الممتازة المختارة خاصة .

وقد استخدموا فى حروبهم الرماح والسيوف والتروس والدروع والأقواس مع السهام ، وكذلك العربات حاملة الجنود فى ميدان القتال ، ويؤخذ من نقوش نينوى أنهم قد اخترعوا آلات كالدبابات يقتحمون بها المدن والقلاع .

وكانت جيوشهم منظمة تنظيماً دقيقاً ، فكان الجيش ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ — المشاة رماة السهام .

٢ — الخيالة الضاربون بالرماح .

٣ — راكبو العربات حاملو السيوف والترس .

وكان لكل جيش قائد أو قواد خبراء فى شئون الحرب ولكنهم يتلقون الأوامر من الملك نفسه .

الفينيقيـــون (١)

يجدر بنا أن نعرف ولو على سبيل الإجمال تاريخ هذا الشعب الذى كان له الفضل فى نشر الأبجدية السامية الأولى (٢) إن لم يكن قد اخترعها أو شارك فى اختراعها ، ويؤخذ من الروايات القديمة أن الفينيقيين كانوا فى أول أمرهم يقيمون فى بلاد العرب الجنوبية على سواحل المحيط الهندى والخليج الفارسى ويؤيد ذلك أن اسمهم مشتق من كلمة إغريقية معناها النخيل ؛ فبلادهم الأصلية لابد أن تكون صالحة لزراعة النخيل ونموها . وهذا ينطبق على بلاد العرب وبخاصة جهاتها الجنوبية . ولاينطبق على البلاد التى هاجر إليها الفينيقيون واستقروا فيها فيما بعد . وهى البلاد الواقعة على الساحل الشرقى لبحر الروم ومن أهم مدنها صور وصيدا .

ويؤيد ذلك أيضاً مايرويه بعض الكتاب الإغريق وهو أن مابين آلهة هذا الشعب إلهاً يسمى «موت» الذى سميت باسمه حضرموت أى (موطن الإله موت) (٣) وكذلك كثير من الأماكن القديمة فى فينيفيا وغيرها مثل عزماوت

(١) الفينيقيون : من القبائل الكنعانية التى نزحت من الجزيرة العربية وهم شديدو الصلة بالأموريين أصحاب أول هجرة من الجزيرة العربية . وفيفقيا وكنعان كلمتان مترادفتان ؛ فكلمه «كناجى» فى اللغة الحورية تعنى الأحمر ، وتلفظ فى الأكادية فى الأكادية «كناخى» وفى الفينيقية «كنع» وفى العبرية «كنعان» . وقد أطلق اليونان على هذه القبائل لفظ «فينكى Phoenix » ومعناها أيضاً الأحمر ، وإن كانت هذه الكلمة تطلق على نوع من النخيل ينمو على شواطئ المنطقة ومن هذه الكلمة اشتقت كلمة فينيقيا .

(٢) الأبجدية السامية : لقد سادت الصورة الفينيقية للأبجدية فى العالم السامى ، وانتشرت فيما جاور المنطقة من دول حتى كانت الأصل فى الأبجديتين اليونانية واللاتينية . وليس من المؤكد تماماً أن الفينيقيين هم الذين اخترعوا الأبجدية ، وإن كان كثير من الباحثين يؤكد هذا ، إلا أن بروكلمان يرجح فى مجلة الساميات صفحة ٤٢ Semitistik ، أن الفينيقيين نقلوا مبدأ كتابة الحروف عن المصريين الذين استعملوا طريقة قصر القيم الصوتية لعلامات معينة على الحرف الأول وإن هذا هو الذى أوحى باختراع الأبجدية .

(٣) الإله موت : ورد ذكره فى ملحمة الإله بعل والإله عفت وهى أهم القصائد الأوجاريتية وفيها يذبح بعل ويحمل إلى مملكة الموتى التى يحكمها الإله «موت» فيعود بعل إلى الحياة على الأرض ، وتعود معه الخصوبة وتدور القصة تحكى دورة الفصول السنوية ، فبعل إله المطر والخصب وموت إله الجدب والموت فهوإله الصيف (راجع أيضاً موسكاتى صفحة ١٣ ومايليها) . وميخائيل نجيب ح٣ ص ٥٩ .

(יַזְבּוּת) ويرموت (יַרְבּוּת) وفى ضوء ذلك يمكن أن يقال أن الفينيقيين كانوا شعباً من الشعوب السامية التى كانت تسكن بلاد العرب ، وأنهم هاجروا من موطنهم الأصلى ، وظلوا مهاجرين حتى وصلوا إلى سواحل بحر الروم فاستقروا بها ، وكانت هجرتهم التى يظن أنها تمت فى أوائل القرن ١٦ ق.م ، جزءاً من تلك الهجرة العامة التى ترتب عليها مهاجرة العبرانيين والآراميين وغيرهم من الشعوب السامية من الجزيرة العربية إلى المواطن التى استقروا بها منذ فجر التاريخ ويمكن القول على سبيل الحدس ، وليس على سبيل اليقين ، أن هذا الشعب أو فريقاً منه كانوا هم الذين نقلوا الأبجدية من الجنوب إلى الشمال ، ونشروها فى سائر الأنحاء المعمورة من العالم آنذاك ، وأنه قد تم ذلك فى أثناء رحلاتهم التجارية وتنقلاتهم بين مستعمراتهم التى أنشأوها فى حوض البحر المتوسط وبخاصة مستعمرة قرطاجة (١) (معناها بالسامية القرية الجديدة) والمعروف أنهم أسسوا هناك دولة عظيمة هى الدولة البونية التى كانت تنافس الدولة الرومانية الغربية ، وقد بلغ من البونيين أنهم أغاروا على رومية وكانت جيوشهم بقيادة قائدهم المشهور انيبال وأصله بالفينيقية (هنى بعل) (٢) . وإلى ذلك يعزى المثل المشهور «أنيبال على الأبواب» .

وليس من المستبعد أن يكون الفينيقيون هم الذين ابتكروا الأبجدية السامية أو على الأقل ساعدوا فى ابتكارها فإن المؤرخين يروون عنهم أنهم كانوا أذكياء ذوى قريحة نفاذة متوقدة . فليس هناك ما يمنع من أنهم بتأثير قريحتهم هذه تنبهوا إلى المرحلة الأخيرة التى وصل إليها تطور الكتابة لدى المصريين وهى مرحلة الفونوجرام أى مرحلة الصور الدالة على المقاطع الصوتية فأسرعوا إلى تهذيب هذه الكتابة واستنبطوا من تلك الصور الحروف الأبجدية المستقلة المبسطة واستخدموها فى أغراضهم التجارية الواسعة النطاق . ويؤيد ذلك أن أسماء الحروف الأبجدية (أبجد هوز ..) هى أسماء سامية فينيقية .

---

(١) قرطاجنه : بالعبرية [illegible] = Carthago وبالأكدية Kati - hadasti

(٢) هانيبال : فى الأصل «هنى بعل» أى هناء للإله بعل . وهو القائد القرطاجنى المشهور ، خلف هزدروبال بعد مقتله عام ٢٢١ ق.م فقاد معركة ضد روما ك وانتصر عليها ثم هزمه شبليو أفريكانوس عام ٢٠٩ ق.م .

على أن فريقاً من المؤرخين يرون أنه على الرغم من أنه ليس هناك مايمنع من هذا الفرض من الناحية التاريخية فإن ثقافة الفينيقيين لم تكن لتؤهلهم لهذا الابتكار العظيم الذى كان له أكبر الأثر فى حضارة الإنسان . ولهذا يقول روالنسون أن الفينيقيين قدعدلوا الأبجدية وهيأوها للاستعمال ،ولم يبتكروها. أما المخترعون الحقيقيون فقد محيت آثارهم ، ولم يبق إلا ذكر المعدلين الذين خلفوهم واستخدموا الأبجدية لأغراضهم التجارية .

ويبدو أن السبب الأساسى فى عدم إرجاع الفضل فى ابتكار الأبجدية السامية الأولى إلى الفينيقيين مايلاحظ بينها وبين الأبجدية المصرية المستنبطة من الهيروغليفية من فروق بارزة تدعو إلى الاعتقاد بأن هناك حلقة مفقودة . وفى سنة ١٩٠٤ م عثر فى سرابة الخادم (١) فى طورسينا على نقوش كتبت بخط اعتقد العلماء أنه يمثل للحلقة المفقودة إذ أنه يشبه الأبجدية المصرية من جهة والأبجدية الفينيقية من جهة أخرى . وقد اختلف علماء الآثار فى تحديد تاريخ هذه النقوش ؛ فقال ست (٢) Seth إنه سنة ١٨٥٠ تقريباً وقال بيترى Petrie أنه سنة ١٥٠٠ ق.م وقال جاردنر Gardiner أنه سنة ١٦٠٠ ق.م .

(١) سرابة الخادم : عثر فيها فلندرز بيترى Flinders Petrie على نقوش يرجع بهـا البعض إلى مابين القرن الخامس عشر والسادس عشر قبل الميلاد .

(٢) تحديد النقوش وتاريخ الأبجدية : راجع موسكاتى حتى صفحة ١٢٠ ومايليها .

الأراميـــون

ينسب الآراميون إلى آرام بن سام بن نوح (تكوين ١٠ : ٢٢) وقيل أنهم هم المقصودون فى القرآن الكريم بقوله تعالى : (ارم ذات العماد) (١) وتفسر ذات العماد بالأبطال الذين لمعت شخصياتهم فى الحرب والسياسة .

كان الآراميون فى أول أمرهم قبيلة من القبائل السامية لها مميزات خاصة تتنقل فى البادية فى الشمال الشرقى من جزيرة العرب على حدود بلاد العراق الجنوبية ،وكانوا يكتفون فى البداية بالصيد ورعى الماشية ويكثرون على الإغارة على بلاد العراق وانتهى أمرهم إلى الاستقرار بعض الوقت فى بعض جهات سوريا وفى ميزوبوتاميا العليا فى حوض الفرات حيث أسسوا لهم دولة قوية وعاشوا عيشة حضارة ومدنية .

ومع أنه ليس لدينا من الأدلة اليقينية مايعيننا على معرفة الأسباب التى حملت الأراميين على شن الغارات المتكررة على بلاد العراق . فمن المرجح أن ذلك يرجع إلى قيام بعض الدول العربية الكبرى جنوبى الجزيرة العربية مثل الدولة المعينية ودولة سبأ ، ذلك أن قيام هذه الدول من شأنه أن يؤثر على حياة البدو ويحملهم على الهجرة للبحث عن مواطن أخرى ينعمون بالعيش فيها هادئين آمنين . وقد كانت هجرة الأراميين إلى العراق فى مقدمة الأسباب التى أضعفت شوكة الآشوريين بعد حكم تيجلات بل عازر الأول ، فقد كانت إغاراتهم على تلك البلاد فى ذلك الوقت أعنف من غاراتهم التى تكررت من قبل حين كانوا يغيرون على بلاد العرب ويعبرون نهر الفرات ويحتلون ميزوبوتاميا الوسطى حتى نهر دجلة وكانوا فى كثير من الحالات خطراً عظيما يهدد الدول الحاكمة فى تلك البلاد .

نعم إنهم كانوا يفعلون ذلك ولكن جيوش تلك الدول كانت تقف فى طريقهم وتردهم على أعقابهم مهزومين ، أما غاراتهم بعد عهد ذلك الملك

---

(١) الآية : «ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد» سورة الفجر آية ٧ .

فكانت في أعداد ضخمة قوية لم يكن من الممكن التغلب عليها وقد بدأ احتلالهم لتلك البلاد باحتلال إقليم شنعار (شومر) واستقرارهم بها ثم اشتد سلطانهم حتى شمل بابل وآشور جميعها ، ومن هنالك تدفقوا على سوريا وظلوا فى طريقهم يغزون ويفتحون سائرين إلى الشمال وشرقا وغربا. ولم يقف فى طريقهم إلا جبال آرمينيا شمالا والبحر الأبيض المتوسط غرباً . وقد ساعد الآراميين فى احتلالهم أرض الرافدين ظهور الحيثيين (١) فى مناطق آسيا الصغرى حوالى القرن ١٢ ق.م فى قوة ضخمة هددت الحضارة السامية بالانقراض .

فهب الآشوريون والبابليون لمقاومة الحيثيين وصرفهم ذلك عن الآراميين الذين انتهزوا هذه الفرصة وثبتوا أقدامهم فى العراق ثم انتشروا فى جهات أخرى على ماسنرى فيما بعد .

ماالأسباب التى دعت إلى إغارة الأراميين على بابل وآشور واحتلالهم لها ولما جاورها من البلاد ؟ يقال أن هجرة الآراميين إلى بعض الجهات من سوريا كانت فى أول الأمر حوالى القرن ١٥ ق.م .

وتدل بعض كتابات مسمارية ترجع إلى القرن ١٤ ق.م على أن فريقا من قبيلة تسمى قبيلة «سوتى» وهى قبيلة آرامية ، كانوا قد استقروا فى نواحى دمشق وأن بعض قبائل آرامية أخرى كان يطلق عليها القبائل الاحملامية استوطنت جنوبى الفرات على مقربة من الخليج الفارسى . وفى القرن الثالث عشر ق.م أخذ الآراميون يحيون حياة هدوء واستقرار ويؤسسون الدويلات والإمارات وكان فى مقدمة دويلاتهم دويلة آرام نهريم (٢) (אֲרַם נַהֲרַיִם) وكانت أملاكها تمتد من الجزيرة إلى سوريا ومنطقة الخابور ولم يكن إحتلال الآراميين لسوريا بصفة نهائية إلا بعد القرن ١١ ق.م أى بعد عهد تيجلات

(١) الحيثيون : أسس ملك الحيثيين حوالى ٢٠٠٠ ق.م أمبراطورية كانت «نيسا» عاصمة لها ثم إنهار سلطان الحيثيين لسبب غير معروف ولم يظهروا ثانية إلا فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد .

(٢) أرام نهريم : أى أرام نهر الفرات ورافده الخابور .

بل عازر الأول الآشورى السابق ذكره، وقد اتخذوا مدينة دمشق عاصمة لهم بعد أن طردوا منها الحيثيين الذين كانوا قد اتخذوها عاصمة لهم .

ومع أن الآراميين لم يؤسسوا هذه المدينة (دمشق) فإليهم يرجع الفضل فى عظم شأنها وبقائها حتى الآن فى مقدمة المدن الفخمة التى غالبت الدهر فغلبته مايزيد على أربعة آلاف سنة . وحوالى ١٠٠٠ ق.م أى فى عهد داود ملك بنى إسرائيل وبعد تيجلات بل عازر الأول بنحو ١٠٠ سنة استقرت دويلات آرامية فى سوريا وامتدت أملاكها إلى حدود مملكة داود فى الجنوب وكان من أشهر تلك الدويلات :

١ — دويلة آرام دمشق فى منطقة دمشق .

٢ — دويلة آرام صوبا فى منطقة حران وهى منطقة سهول منبسطة . ولذا كان بعض تلك الجهات بدان آرام (فدان آرام) . وكانت حران على الطرق التجارية الهامة التى تصل الشام بالجزيرة وشمالى الشام ببلاد العرب .

٣ — مملكة آرام راحوب فى منطقة اليرموك .

٤ — مملكة آرام قفخا فى منطقة جبل حرمون .

وكان للآراميين بعض دويلات أخرى فى سوريا الشمالية كان أهمها :

دويلة شمال — وكانت هذه الدويلات الآرامية المجاورة للمملكة اليهودية فى نزاع دائم مع سكانها من العبرانيين ألد أعداء الآراميين ، وكانت الحروب كثيراً مايدور رحاها طاحنة بين هاتين القوتين الساميتين ، وكان النصر متبادلا فيها بين الفريقين وبقيت الدويلات الآرامية فى سوريا فى قوة وبأس حتى جاء شلمنصر الثالث ملك آشور فعقد العزم على محاربة الآراميين فى سوريا ، ونشبت الحرب بين الفريقين واستمرت حتى جاء تيجلات بل عازر الثالث ، فتم فى عهده انهزام الآراميين وتدهور دويلاتهم وكان ذلك حوالى ٧٣٨ ق.م. ومازال شأنهم فى ضعف وتدهور حتى كانت ٧١٠ ق.م أى فى عهد سرجون الثانى فسقطت آخر دويلاتهم وهى دويلة شمأل فى يد الآشوريين ، وبذلك قضى على الآراميين فى سوريا وفى غيرها بصفة نهائية .

ولم يكن القضاء على الدويلات الآرامية قضاء على الآراميين أنفسهم بل أنهم احتفظوا بنفوذهم السياسي فى منطقة الشرق الأوسط بأسرها ، وكانت لهم كلمة مسموعة فى إدارة الشئون السياسية لدى البابليين والآشوريين والفرس بل واليونان والرومان وانتشرت حضارتهم ولغتهم بين جميع الأمم السامية حتى أن لغتهم أصبحت شبه لغة رسمية بين جميع الشعوب التى كانت تسكن الجزء الغربى من آسيا الممتد من البحر المتوسط غربا إلى أطراف الدولة الفارسية شرقاً ومن شمالى جزيرة العرب جنوباً إلى حدود أرمينا شمالا ، وكان الفرس يستخدمون الأبجدية الآرامية فى الكتابة بلغتهم الفارسية المتوسطة ،وكانوا يتبعون فى ذلك نظاماً غريباً يسمى نظام «النهروارش» ذلك أنهم كانوا يكتبون الكلمة بالآرامية بحروف آرامية وينطقون بها كلمة فارسية فمثلا كانوا يكتبون بالآرامية بسرا (בסרא) ، وينطقون كوشت وكانوا يكتبون (לחמא) وينطقون نان وهكذا .

وظلوا كذلك إلى أن جاء الإسلام وانتشرت الأبجدية العربية فأخذ الفرس عن العرب أبجديتهم ،وكتبوا بها لغتهم الحديثة بعدأن أضاف إليها الحروف الأربعة (ب (P) — ج (J) — د (D) — ك (G)) وكان للآراميين نفوذ عظيم فى دويلتين مشهورتين هما دويلة الأنباط ودويلة التدمريين ، أما الأنباط فكانوا فريقاً من السامريين .

وأما التدمريون فكانوا سكان تدمر ، وكانت مملكة فى واحة فى صحراء الشام فى الشمال الشرقى من دمشق . وقد دلت على حضارتها آثارها التى يرجع أقدمها إلى القرن التاسع قبل الميلاد ، أوأحدثها إلى ٢٧٠ م ، وأكثرها إلى القرنين الثانى والثالث بعد الميلاد .

وتنسب هذه المملكة إلى عاصمتها تدمر وكانت مدينة عامرة ذات شهرة واسعة فى العصور القديمة ؛ بنيت لها الهياكل والمعابد الضخمة وشقت الطرق الفسيحة وأقيمت الأسواق الواسعة . وكانت فى طريق القوافل التجارية بين مصر وسورية وبلاد العرب والعراق . ومن ثم كانت مدينة تجارية عظيمة يحضر أسواقها التجار من البلاد المجاورة من الهند شرقاً إلى مصر وأوربا غرباً .

وقد بلغت دولة تدمر أوج عظمتها بين سنة ١٣٠ م حتى سنة ٢٧٢ م وبقيت ذات شخصية مستقلة مهيبة الجانب تستمتع بمزايا لم تستمتع بها غيرها من الدول التي خضعت مثلها لسلطان الرومانيين . وقد عرفت كيف تستغل لصالحها التجارى ماكان من الرومان فى الغرب والبارثيين فى الشرق من تنافس فى السيادة على بلاد الشرق الأوسط .

وكان من أشهر ملوكها زينوبيا زوجة الملك أدنيت وهى التى يسميها العرب الزباء ، وقد عملت على أن تتخلص من نفوذ الرومان ثم تؤسس لها ملكاً عظيماً مستقلا ، ففى سنة ٢٧٠م أغارت جيوشها على مصر وآسيا الصغرى وخشى الناس بأسها ، وأرق اتساع نفوذها أورليوس قيصر الرومان فتصدى لها وقام بين الفريقين حروب دامية كان آخرها موقعة حمص التى كانت زنوبيا تشرف عليها بنفسها ، وانتهى الأمر باستيلاء القيصر على مدينة تدمر سنة ٢٧٢ م

وكان التدمريون آراميين وإن كان بعض حكامهم يرجعون إلى أصل عربى ، وقد تأثروا بالحضارة اليونانية ، ودخل لغتهم كثير من الكلمات اليونانية . ومن ثم كانت اللغة التدمرية لهجة آرامية لم يدخلها من العربية إلا بعض أسماء أعلام .

ويرجع الفضل إلى الآراميين فى تعديل الأبجدية الفينيقية ، ونشرها معدلة فى بلاد العراق حيث حلت محل الأبجدية الأكدية المسمارية كما كان لهم الفضل فى نشر هذه الأبجدية فى اليمن بوساطة الأنباط .

والأنباط فريق من الساميين أسسوا لهم دولة كانت تمتد من الجزء الجنوبى الشرقى فى فلسطين إلى رأس خليج العقبة . وقد أطلق قدماء مؤرخى اليونان على بلادهم اسم «أديبيا بترا» أى بلاد العرب الصخرية ، وسموا عاصمة بلادهم (بترا) ، وهذه ترجمة لاسمها فى اللغة العربية وهو سلع ومعناها «الصخرة» .

والمرجح أن الأنباط يرجعون إلى أصلين :

الأول : آرامى ، وهو الفريق المحتل أو الدخيل .

والثانى : عربى ، وهم سكان البلاد الأصليون الذين اختلط بهم الآراميون الفاتحون ، وعلى مر الزمن أخذ العرب الأصليون يتغلبون على الآراميين حتى قضوا عليهم . ولكن العنصر الآرامى فى اللغة النبطية ظل متغلباً على العنصر العربى . وقد انتشرت اللغة النبطية فى تلك البلاد إلى أن طغت عليها الآرامية بعد أن أصبحت اللغة الرسمية فى العالم الشرقى كله .

وقد قامت دولة الأنباط على الرأى الراجح فى القرن السابع ق.م . وذلك حين حلت محل دولة الإيدوميين التى كانت تمتد أملاكها جنوبى بحيرة طبرية واستمرت دولة الأنباط قائمة حتى قضى عليها تراجان الرومانى عام ١٠٦ م أى أن هذه الدولة استمرت حوالى ثمانية قرون ، وقد أقام الرومان على أنقاضها ولاية رومانية خاضعة لهم .

وأقدم ماعرف عن تاريخ الأنباط بصفة قطعية لايجاوز القرن الرابع ق.م. وكان الأنباط أهل مدينة وحضارة اشتهروا بالزراعة وكان لهم نشاط تجارى ملحوظ ، فكانوا حلقة إتصال بين فلسطين وبلاد العرب وبين الآراميين واليمنيين . وقد تمكنوا بذلك من نشر الأبجدية الآرامية فى بلاد اليمن وهى الأبجدية التى نشأ منها الخط المسند ، وهو الخط الذى أخذ منه الخط العربى بعد تعديله ، وإضافة ستة أحرف إليه تسمى الأحرف الروادف الذى يجمعها قولنا «ثخذ ضظغ» .

العبرانيـــــون

للعلماء أربعة آراء فى تسمية بنى إسرائيل بالعبرانيين :

الأول : أنهم سموا بذلك نسبة إلى عابرجد إبراهيم الأكبر . وإنما نسبوا إليه دون غيره من أجداده لأن عابر كانت له شهرة عظيمة فى التاريخ كما قلنا من قبل ، وهذا الرأى هو أرجح الآراء .

الثانى : أنهم نسبوا إلى عبور النهر أى عبوره إلى الجهة الأخرى منه والمراد بالنهر هنا إما نهر الفرات الذى عبره إبراهيم ومن معه بعد أن هاجروا من مدينة أور ،وإما أن يكون نهر الأردن الذى عبره هؤلاء حينما كانوا قادمين من كنعان ، والمراد بعبور النهرهنا إلى الجهة الشرقية منه . وقيل أن الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم هم الفينيقيون الكنعانيون أو جماعة منهم كانوا يقيمون على الضفة الغربية من النهر أو على عبره الثانى المقابل للعبر الأول .

الثالث : وهو أن كلمة عبرانيون جمع عبرانى ، والعبرانى هنا ، فى رأى هؤلاء الناس ، هو إبراهيم ، وإنما أطلق عليه لفظ عبرانى لأنه كان كثير التجول فى البلاد الشرقية طلباً لكسب الرزق بالتجارة ، وكان له شركاء وأعوان فى ذلك تعلموا لغته الأولى وهى الكلدانية وكانوا يعاملون الناس بها فى تجارتهم .

الرابع : وهو رأى إسرائيل ولفنستون الذى شرحه فى كتابه «تاريخ اللغات السامية» وخلاصته أن كلمة عبرى تساوى عربى وكل منهما يفيد المتنقل المتجول فى الصحراء . والتاريخ يؤكد ذلك ، فإن كلا من العرب والعبرانيين كانوا ، قبل أن ينشئوا الدول ويستقروا فى المدن ، قبائل تتجول فى صحراء بلاد العرب طلباً للكلأ لرعى الماشية ، والماء لسقياها .

وأما تسميتهم بالإسرائيليين فنسبه إلى يعقوب بن إسحق ، وسموا اليهود نسبه ليهوذا بن يعقوب . وقد سلك بنو إسرائيل فى حياتهم أطواراً مختلفة تعرف تفصيلاتها مما هو مدون فى كتب التاريخ وفى العهد القديم ، غير أنه ينبغى أن نعرف من تاريخ حياتهم حوادث هامة نلخصها فيما يلى :

١ — إبراهيم العبرى يعبر نهر الفرات بعد أن هاجر من أور إلى نهر الأردن ثم إلى كنعان أى فلسطين ومعه أقاربه وأنصاره حوالى القرن العشرين قبل الميلاد على اختلاف فى ذلك بين المؤرخين ؛ فقد قيل أن ذلك كان فى عهد النمرود وقيل أنه كان فى عهد حمورابى الذى تسميه التوراة (امرافيل) .

٢ — فريق من اليهود يستعبدون فى مصر من حوالى ١٤٣٠ ق.م فى عهد امنوفيس الثانى إلى حوالى سنة ١٢٣٠ ق.م فى عهد رمسيس الثانى (١) .

٣ — عصر القضاة ؛ آخر القضاة هو شموئيل ويسميه العرب صمويل وهو المقصود بقوله تعالى فى القرآن الكريم : «وقال لهم نبيهم» ، ويمتد إلى حوالى سنة ١٠٤٠ ق.م .

٤ — عصر الملوك ، وأولهم شاؤول (٢) وهو طالوت فى القرآن الكريم وبعده داود ثم سليمان ، من ١٠٤٠ ق.م إلى ٩٧٥ ق.م .

٥ — حوالى سنة ٩٧٥ ق.م ، أو ٩٥٥ ق.م انقسمت البلاد إلى مملكتين بعد موت سليمان الأول ؛ المملكة الشمالية وهى إسرائيل وعاصمتها سامريا وأطلالها على مقربة من نابلس الحالية ، والمملكة الثانية مملكة يهوذا فى الجنوب وكانت عاصمتها أورشليم (٣) وكان سكان يهوذا من سبطى يهوذا وبنيامين ، أما سكان إسرائيل فكانوا من الأسباط العشرة الباقية .

---

(١) تاريخ خروج الإسرائيليين من مصر : مختلف فيه ، فثمة من يرى أن الخروج تم فى عام ١٤٤٥ ق . م مثل جاك J.W.Jack : The date of Exodus ، وثمة من يرجح أن الخروج تم فى الجزء الأول من القرن الخامس عشر مثل روبنسون T.H.Robinson : History of Israel وآخرون يرجحون الخروج بعهد مرنبتاح (أى حوالى ١٢٣٠ ق.م) والحق أن توحيد وقت الخروج لايمكن القطع به ، فليس لدينا مايمكن أن يساعد على هذا إطلاقاً . (راجع نجيب إبراهيم أيضاً جـ ٣ ص ٢٧٦ ومايليها) .

(٢) بدأ عصر الملوك بشاؤول حوالى عام ١٠٢٠ ق.م ، ثم قتل وهو يحارب الفلسطينيين وتولى داود الحكم حوالى عام ١٠٠٠ ق.م وتولى بعده سليمان بن داود الحكم (حوالى ٩٦١ — ٩٢٢ ق.م) .

(٣) تصارع زعماء القبائل الشمالية والجنوبية فى ثورة يريعام الأول (حوالى ٩٣٣ — ٩١٢ ق.م) فانشقت المملكة إلى شقين ، الشمالية باسم إسرائيل والجنوبية باسم يهوذا .

٦ — حوالى ٧٢٢ ق.م سقطت إسرائيل فى يد الآشوريين فى عهد سرجون الثانى الآشورى الذى دخل سامريا وخربها وحمل بعض سكانها أسرى إلى آشور .

٧ — عام ٥٨٦ ق.م سقطت أورشليم عاصمة يهوذا فى يد بختنصر الثانى ملك بابل الثانية ، وهو الذى خرب الهيكل ، وسبى عدداً كبيراً من اليهود إلى بابل كما قلنا من قبل ، وسمى سببه هذا بالسبى الأكبر ، وقد استمر اليهود اليهود أسرى فى بابل من سنة ٥٨٦ ق.م إلى سنة ٥٣٦ ق.م أو سنة ٥١٦ ق.م حوالى ٧٠ سنة انتهى بعدها مايسمى بالسبى البابلى .

٨ — حوالى ٥٣٦ ق.م أو ٥١٦ ق.م على الأرجح انتهى السبى البابلى وسمح قورش الفارسى للعبرانيين بالعودة إلى بلادهم بعد أن استولى على بابل الثانية ، فعادوا جماعات إلى فلسطين وأخذوا يشيدون الهيكل الثانى .

٩ — عام ٤٥٨ ق.م عاد فريق آخر من اليهود إلى فلسطين برياسة عزرا ، ومنذ ذلك الوقت أخذت اللغة العبرية فى التدهور وأخذت اللغة الآرامية تحل محلها .

١٠ — من عام ٣٣٠ ق.م إلى ١٦٠ أو ١٤٠ ق . م خضعت فلسطين للحكم اليونانى بعد غزو الاسكندر الأكبر لها ، وقد تأثر اليهود فى تلك الفترة بالثقافة اليونانية ودخل العبرية كثير من المصطلحات والألفاظ الإغريقية .

١١ — من ١٦٠ ق.م أو ١٤٠ إلى ٦٤ ق.م ظهرت الأسرة المكابية الوطنية اليهودية التى أنقذت البلاد من اليونان ، وحكمتها حكماً وطنياً وكان زعيمها يهوذا المكابى ، وسموا المكابيين لأن شعارهم فى الحرب كان العبارة الآتية : מי כמכה באלם יהוה ؟ (من مثلك بين الأمم ؟) فقد اشتقوا اسم دولتهم من هذا الشعار فأخذوا الحرف الأول من كل كلمة فيه وكونوا كلمة מכבי من الأحرف الأولى .

١٢ — من عام ٦٤ ق.م إلى عام ٦٣٦ ب.م دخلت البلاد تحت الحكم الرومانى ، وفيه تأثر اليهود بالثقافة الرومانية ودخل العبرية كثير من الألفاظ والعبارات اللاتينية .

١٣ — عام ٧٠ م أى فى أثناء الحكم الرومانى لفلسطين خرب الهيكل الثانى ودمرت أورشليم مرة ثانية وحمل عدد كبير من اليهود أسرى إلى رومية على يد تيتوس الرومانى الذى أصبح أمبراطوراً للرومان بعد أبيه فسبسيان .

١٤ — عام ٦٣٦ م : انتهى الحكم الرومانى لفلسطين واستولى عليها العرب المسلمون عام ١٥ هـ .

١٥ — عام ١٩٤٨ : ظهرت إسرائيل الثانية وجعلت عاصمتها تل أبيب .

الأسباب التى أدت الى انقسام العبرانيين بعد وفاة سليمان ؟

لما مات سليمان قام بالأمر بعده ابنه رحبعام ، فانتقل إلى شكيم وجعلها عاصمة ملكه ، وهناك طلبت منه الأسباط أن يخفف عنهم مافرض أبوه عليهم من الضرائب فأبى . فاستدعوا يربعام بن نباط الذى فر من وجه سليمان إلى مصر ، وهو من سبط أفرايم ، وأقاموه ملكاً عليهم ، واجتمع إليه عشرة أسباط . أما السبطان الباقيان وهما يهوذا وبنيامين فقد تبعوا رحبعام ابن سليمان الذى أسس دولة يهوذا ، وكان من أمر رحبعام أنه لما طلبت إليه الأسباط أن يخفف عنهم الضرائب أمهلهم ثلاثة أيام يستشير فيها رؤساء الدولة فاستشار كبار الحكماء فأشاروا عليه بأن يجيبهم إلى طلبهم ليحتفظوا بولائهم له ولكنه لم يكتف بذلك بل أخذ يستشير أتباعه من الشبان الذين كان يظن أنهم كانوا صادقين فى ولائهم ، فأشاروا عليه برفض طلب الأسباط ، ومال إلى هذا الرأى الأخير .

ولما جاءت الأسباط ليستمعوا إلى رأيه الأخير فاجأهم برفض طلبهم ، وأخذ يهددهم فى عبارات شديدة اللهجة ذكرت فى العهد القديم (ملوك ١ — ١٢ أخبار أيام ثان) .

ولما لم يعجبهم هذا الرد قال بعضهم للبعض مالنا وآل داود فاتجهوا إلى يربعام ، وجعلوه ملكاً عليهم حوالى ٩٥٥ ق.م وكان يربعام سئ السيرة فقد منع إسرائيل من حج أورشليم ، وأقام عجلا فى أطراف مملكته وطالب الناس بعبادته ، وكان قد تعلم ذلك من المصريين وكان من نتائج ذلك أن فر الكهنة واللاويون إلى الجنوب ثم أخذ يربعام هذا يستغيث بالأجانب فى الأمور الخارجية ، فلما قامت الحرب بينه وبين رحبعام استعان بشيشق (١) ملك

---

(١) شيشاق أو شيشق Shishak أو Shishok وهو من أصل ليبى من الأسرة الثانية والعشرين المصرية سنة ٩٤٥ ق.م . غزا يهوذا فى أيام رحبعام أخبار الأيام ب : ١٢ — ١ — ٤ ، واستمر فى الحكم ٢١ سنة ، وامتد مملكته بآسيا من حدود مصر إلى أرض الجليل ومن بحر الروم إلى صحراء سوريا الكبرى .

مصر ، ولكن يربعام هزم ومات بعد أن ملك ٢٢ سنة وتولى بعده ملوك من نسله ، وبعضهم من قواد جيشه . وكانوا جميعاً أشر منه ثم انفصلوا انفصالا تاماً عن الجنوبين واتخذوا مدينة السامرة حاضرة لهم فظلت للإسرائيليين إلى أن زال ملكهم حوالى ٧٢٢ ق.م .

وكان من أهم أسباب سقوط إسرائيل سوء تصرف ملوكهم وبخاصة بعد يربعام الثانى فقد عرضوا بلادهم لأشد الأخطار ، وسلكوا مسلك المعاداة والعناد مع الدول المجاورة لهم ، وانتهكوا حرمات الله وأغفلوا شرائعهم الحكيمة وعبدوا الأصنام والكواكب وشاع بينهم السحر والكهانة ، وصنعوا لهم عهداً قائماً بذاته هو «العهد القديم السامرى» كما وضعوا حروفاً أبجدية مخالفة للحروف العبرية .

ولهذه الأسباب انحطت دولتهم لدرجة أنه كان من يتولى الأمر منهم لايبقى ملكاً إلا لشهر أو لأشهر قليلة . وقد شعروا بالضعف حتى استعانوا بملوك بابل لحمايتهم ، وكانوا يقدمون لهم الجزية ، ومازال أمرهم فى ضعف إلى أن أغار عليهم تجلت بلسر الثانى توالت وغارات الآشوريين عليهم إلى أن جاء سرجون الثانى فسقطت فى يده السامرة عام ٧٢٢ ق.م كما ذكرنا .

مـــرات أسر اليهـــود

مما يذكره اليهود المؤرخون أن حوادث الاستيلاء على أورشليم وتخريبها وأسر فريق من سكانها قد تكررت عدة مرات :

الأولى : فى عهد «يهوياقيم» ملك يهوذا الذى عزله بختنصر واستولى على أورشليم ثم أعاده إلى الملك شريطة أن يكون من عبيده أو رعاياه ، وأسر بختنصر إلى بابل كثيراً من أولاد الأشراف من اليهود .

الثانية : كانت بعد أن استأنف «يهوياقيم» السابق ذكره ، خيانته وخرج على بختنصر فعاجله الملك وقتله وولى مكانه أخاه «يهوياكين» الذى عزل بعد ٣ أشهر ثم حمل أسيراً إلى بابل وحمل معه نحو مائة ألف أسير من اليهود .

الثالثة : كانت فى عهد صدقيا آخر ملوك يهوذا الذى حكم إحدى عشرة سنة من ٥٩٧ إلى ٥٨٧ ق.م حاول بعدها الخيانة والخروج على بختنصر واستعان على ذلك بملك مصر فأغار بختنصر على البلاد وخرب بيت المقدس بعد أن حاصرها بجيوش جرارة حصاراً استمر ثمانية عشر شهراً وكان سقوطها سنة ٥٨٦ ق.م ، وهرب صدقيا فتعقبه بختنصر وأرسل إليه من قبض عليه وحمله أسيراً إليه فى نواحى حماة فسمل عينيه وحمله أسيراً إلى بابل ثم قتله ولم يبق فى يهوذا إلا رعاع الناس ، وفى هذه المرة هدم الهيكل المقدس الأول .

الرابعة : وهى الأخيرة كانت سنة ٧٠ م أيام أن كان يوسفوس المؤرخ اليهودى المشهور حاكما على فلسطين ، وكانت ولادة هذا العالم سنة ٣٨٠ م وقد عرف منذ نعومة أظفاره بالذكاء وحسن التصرف وتوقد العزيمة حتى أنه كان يستفتى ولما يجاوز عمره الرابعة عشرة سنة فى المسائل السياسية والدينية الهامة ، وكان علماً من أعلام التاريخ له فيه مؤلفات قيمة منها كتابه فى آثار اليهود وقد برزت شخصيته حينما ذهب إلى رومية ليستشفع لدى يونيا زوجة نيرون أمبراطور الروم فى إطلاق سراح بعض الكهنة الذين قد قيدوا وحملوا أسرى إلى رومية غير أن أيام حكمه كانت أسوأ أيام رأتها فلسطين

وقد كانت ميوله نحو الروم ورأى قومه يستعدون لشق عصا الطاعة على حكامهم من الروم فحذرهم عاقبة ذلك ولكنهم استمالوه إلى جانبهم وأغروه بأن يجعلوه ملكاً عليهم فقبل ذلك وأخذ يستعد لمقاومة الرومان ، وما إن علم الرومان بذلك حتى جهزوا لغزو فلسطين جيشاً عظيماً من نحو ٦٠ ألف مقاتل معظمهم من الرومان وفريق من المرتزقة من اليهود أنفسهم ، وكذلك من المصريين الذين أتى بهم تيتوس بن فسيبسيا ،ومنهم القائد الأعلى للجيش . وبدأ الجيش الرومانى عمله بمحاصرة مدينة يثبانا فى أرض الجليل فى الطريق إلى أورشليم ، وكانت مدينة حصينة جداً ،ودام حصارها مدة طويلة لم يتمكن فيها الجيش الرومانى من إحداث ثغرة فى أسوارها ،ولكن بعض سكانها من اليهود تمكنوا من التسلل إلى خارجها وأخذوا يلحقون الضرر بجيش الرومان مابين قتل ونهب وإحراق للذخائر ، فرد الرومان على ذلك وبذلوا جهوداً موفقة فى إحداث ثغرة فى أسوار المدينة وتمكنوا من الدخول إليها بواسطتها وأخذوا يرمون السكان بالنبال وقابلهم السكان برميهم بالزيت المغلى بناء على إشارة يوسيفوس نفسه وأخيراً دل الخونة من اليهود أعداءهم وأعداء بلادهم على مكان يمكن الوصول منه بسهولة إلى داخل المدينة ، فدخلوها فى جموع غفيرة وهرب يوسيفوس ثم قبض عليه وأمنه فسيبسيا على حياته ، إذا هو كف عن المقاومة ، ففعل ثم مضت جيوش الرومان فى طريقها إلى أورشليم تغزو البلاد وتفتحها ولما وصلت إلى أورشليم حاصرتها حصاراً طويلا استمر نحو ٤٧ يوماً ثم دخلوها وخربوها بعد أن استبسل أهلها فى الدفاع عنها ، ثم خربوا هيكلها المقدس الثانى الذى كان اليهود قد بنوه بعد عودتهم من بابل ويقال أنه قد قتل فى حرب أورشليم هذه نحو مليون ومائتى ألف نسمة وأسر نحو ٦٧ ألف يهودى .

وقبيل الحصار الأخير لأورشليم كان يوسيفوس قد تنبأ أن فسبسيان سيتولى الملك فى رومية وأن تيتوس ابنه سيخلفه من بعده وقد تحققت هذه النبوءة وتولى فسبسيان الملك فزاد فى إكرام يوسيفوس وأصبح موضع تقدير لديه ولدى غيره من ملوك رومية من بعده ، وحاول قومه أن يقتلوه ولكن تيتوس حماه وأخلص فى المحافظة عليه وأباح له أن يستولى على مايشاء من غنائم أورشليم فاستعفف ، ولكنه اكتفى بأن يحظى ببعض الكتب المقدسة التى كانت فى المدينة وأن يطلق سراح عدد من الأسرى فأجيب إلى طلبه ، واستصحبه تيتوس إلى رومية فأحسن فسبسيان استقباله ، وجعله مواطناً رومانياً طوال حياته وموضع رعايته .

السريـــان

لقد استغلت بعض القبائل الآرامية ماكان بين الدول العظمى من نزاع وحروب مستمرة أدت إلى ضعفهم فأسسوا بعض دويلات فى شمالى سوريا والعراق ذكرنا كثيراً منها فيما مضى ، وكان من بينها دويلة تسمى «أسرونيا» وكانت عاصمتها «أدشا» التى سماها العرب «الرها» أخذاً من اسمها الآرامى وهو «أورهاى» .

ويقال إن تأسيس أول مملكة للرها كان فى عهد البارثيين حوالى عام ١٣٢ ق.م . وقد احتفظ الآراميون بنفوذهم حتى جاءت المسيحية فاعتنقها فريق منهم ، وأنفوا أن يسموا من الوثنية لأن الآراميين لم يكونوا موحدين يدينون بإله واحد بل كانوا وثنيين عبدة أصنام ، وكواكب وغيرها .

لذلك آثر من كان فى سوريا من الآراميين أن يسموا أنفسهم «سريان» ، فالسريان إذا هم فريق من الآراميين اعتنقوا المسيحية ، وليس هذا فحسب بل إن السريان ابتكروا أبجدية ذات صور مختلفة كانوا يكتبون بها ، ويؤلفون كتبهم المقدسة وهى الأبجدية السريانية المعروفة الآن .

وكانت الرها ونصيبين من أهم مراكز الثقافة السريانية ، وكان بين علماء هاتين المدينتين تنافس كبير . وفى القرن الخامس الميلادى انفصل عن الكنيسة الرسمية الملكانية أحد القساوسة المسمى «نسطور» وتبعه عدد كبير من رجال الدين ، وبعد أن انفصلوا عن الكنيسة الرسمية التى كانت مذهب الدولة الرومانية الشرقية أسسوا لهم مذهباً جديداً هو الذى يسمى مذهب النساطرة ويسمى أتباعه النسطوريين .

ويقوم هذا المذهب على أن للسيد المسيح طبيعتين متمايزتين سائرتين جنباً لجنب الأولى : الطبيعة اللاهوتية (الإلهية) ، والثانية : الطبيعة الناسوتية (الإنسانية) ، فالسيد المسيح فى نظرهم جمع فى شخصيته بين اللاهوت والناسوت (أى ذو طبيعة مزدوجة) .

وبعد ذلك قامت فرقة من بين السريان أيضاً خالفت كلا من الملكانيين والنسطوريين ، مؤسسها يعقوب الرهاوى الذى أطلق عليه لقب السروجى أو البرادعى ، ويقوم مذهبه على أن السيد المسيح ذو طبيعة واحدة ومشيئة واحدة هى مزيج من اللاهوت والناسوت . وقد شاع المذهب النسطورى فى الشرق أى فى الشام والعراق وبلاد فارس .

أما المذهب اليعقوبى فقد انتشر فى الغرب وخاصة فى مصر وقد انتقل منها إلى الحبشة ، ويطلق على اليعاقبة باللغة الأجنبية The Monophysitê (أصحاب القول بالطبيعة الواحدة) . وبذلك كانت الديانة المسيحية الرومانية الشرقية فى القرن السادس ب.م . ثلاثة مذاهب هى :

١ — المذهب الملكانى أى الرسمى ، وكان مقر أتباعه القسطنطينية .

٢ — المذهب النسطورى .

٣ — المذهب اليعقوبى .

ويطلق على هذه المذاهب الثلاثة المذهب (الأرثوذكسى) أما أصحاب الكنيسة الرومانية الغربية التى مقرها رومية ، فأطلق عليهم اسم الكنيسة الكاثوليكية . وقد كان للنساطرة واليعاقبة من السريان آثار بارزة فى نقل الثقافة الإغريقية إلى البلاد الشرقية قبل الإسلام وبعده وخاصة فى عهد الدولة العباسية أيام الخليفة المأمون .

وظلت اللغة السريانية لغة الثقافة والعلم إلى أن جاء الإسلام ، فحلت محلها اللغة العربية ، كما حلت الأبجدية العربية محل الأبجدية السريانية فى الانتشار .

والمعروف أن اللغة السريانية ماهى إلا لهجة من اللهجات الآرامية تسمى أحياناً اللهجة الآرامية الغربية تمييزاً لها من الآرامية الشرقية التى تسمى أحياناً الكلدانية ، وقد اختلفت الآرامية الغربية عن الآرامية الشرقية فى بعض الظواهر اللغوية تعرف من الدراسة المقارنة للغات السامية .

بين إسرائيـــل ويهـــوذا

قلنا تحت رقم (٥) أن انقسام فلسطين إلى دولتين تم حوالى سنة ٩٧٥ ق.م بعد وفاة سليمان ؛ وكانت هاتان المملكتان هما يهوذا فى الجنوب وإسرائيل فى الشمال .

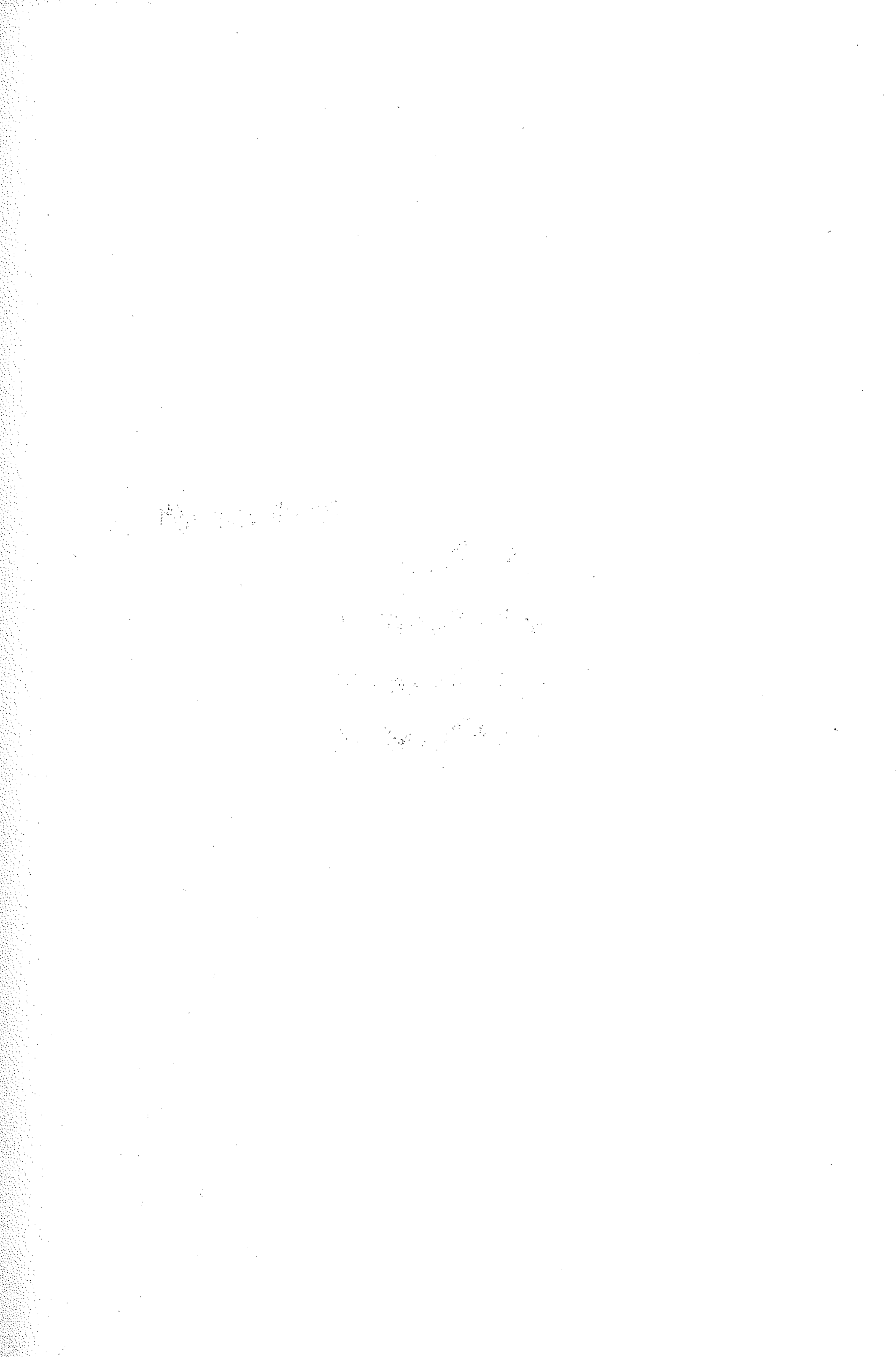
أما يهوذا فكانت أصغر مساحة من إسرائيل وأقل سكاناً منها ، لأنه لم يكن يسكنها إلا سبطان من القبائل الإثنى عشر ؛ هما سبطا يهوذا وبنيامين ولكنها مع ذلك كانت أغنى وأقوى من إسرائيل كما كانت أطول عمراً منها والسبب فى ذلك :

أولا : أن أهلها كانوا فى الغالب مخلصين فى تدينهم يتبعون الدين الحق ولم ينتحلوا ما انتحله الإسرائيليون من الإشراك بالله ولم يسلكوا مسلكهم فى عبادة الأوثان وعبادة بعض الكواكب ، بل كانت عبادتهم لله وحده عملا بوصايا موسى العشر .

ثانياً : أن عاصمة يهوذا وهى أورشليم كانت أقوى من السامرة عاصمة إسرائيل ؛ ذلك أن أورشليم كانت محصنة تحصيناً طبيعياً تحيط بها الجبال وقد زاد فى قوتها هجرة أهل الرأى إليها من رجال الكهنوت ومن على شاكلتهم ، حينما أدخل يربعام عبادة الأوثان فى مملكة إسرائيل .

ثالثاً : ملوك يهوذا كانوا ينحدرون من أصل واحد هو سليمان فى الغالب فكانت عصبيتهم قوية وكان تمسكهم بتقاليد اليهود متيناً واضحاً ، أما الإسرائيليون فكان ملوكهم من عصبيات شتى وكان القواد فى كثير من الأحيان يثبون فى إسرائيل على سرير الملك ويستولون عليه عنوة رغم أنف الملك الوراث ، من أجل هذا كله ظلت يهوذا قائمة قوية بعد أن سقطت إسرائيل بنحو ١٤٠ سنة .

الفهـــارس العـــامة



١ — فهرس الأعلام

(ا)

٢ ــ فهرس الأمـاكن

(أ)

٣ — فهرس المراجع

أهم مراجع التعليق

(ا) العربيـــة

١ — اندريه ايمار وآخرون : الشرق واليونان القديمة (المجلد الأول) منشورات عويدات - بيروت ١٩٦٤

٢ — دكتور جون الدر : الاحجار تتكلم (ترجمة دكتور عزت زكى) دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة (بدون تاريخ) .

٣ — جيمس فريزر الفلكلور فى العهد القديم (ترجمة د . نبيلة إبراهيم (ج ١ — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ .

٤ — سباتينو موسكاتى : الحضارات السامية القديمة - ترجمة يعقوب بكر .
ذاو المعارف — القاهرة .

٥ — دكتور عبد الحميد زايد : الشرق الخالد — النهضة العربية ١٩٦٦

٦ — على عبد الواحد والى : علم اللغة — نهضة مصر ١٩٥٧ .
فقه اللغة — لجنة البيان العربى ١٩٥٦.

٧ — عونى عبد الرءوف : قواعد اللغة العبرية .

(ب) الأجنبية

1. **Anati, Emmanuel** : Palestine before the Hebrews, Canada 1962.
2. **C.W. Ceram** : Götter, Gräber und Gelehrte Rowohlt 1972.
3. **Fischer** : Weltgeschichte Bd I - III Frankfurt 1965 - 67.
4. **Grohmann, Adolf** : Kulturgeschichte des alten Orients - Muenchen 63.
5. **Hommel, Fritz** : Die Semitischen Völker, Leibzig 1883. Die Namen der Saugetiere bei den Sudsemitischen Volkern, Leipzig 1879.
6. **Moscati, Sabatino** : Die Kulturen des Alten Orients - München 1962.
7. **V. Natzmer, Gert** : Die Kulturen der Vorzeit, Berlin 1955. Die Altsemitischen Kulturen.
8. **Propylaen - W** : Weltgeschichte, Berlin - Frankfurt - Wien 1962.
9. **Schmökel, Hartmut** : Funde im Zweitrom Land Berlin-Frankfurt 1963. Kulturgeschichte des Alten Orient, Stuttgert 61
Ur, Assur and Babylon, Stuttg- art 1955.
10. **Roux, Georges** : Ancient Iraq, London, 1964.

٤ — فهرس الكتاب

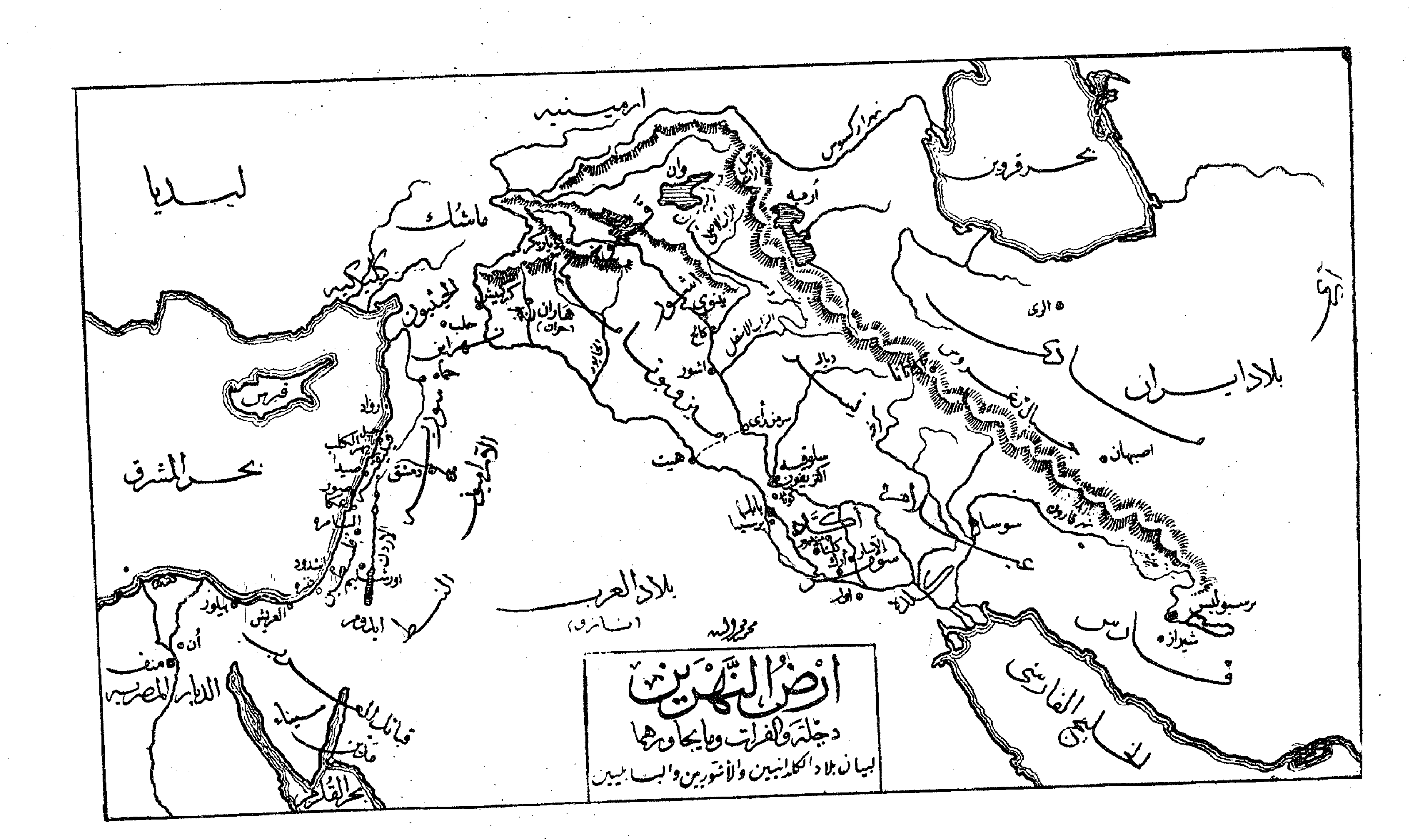
الموضوع	الصفحة

الكلمات العبرية الواردة بالكتاب

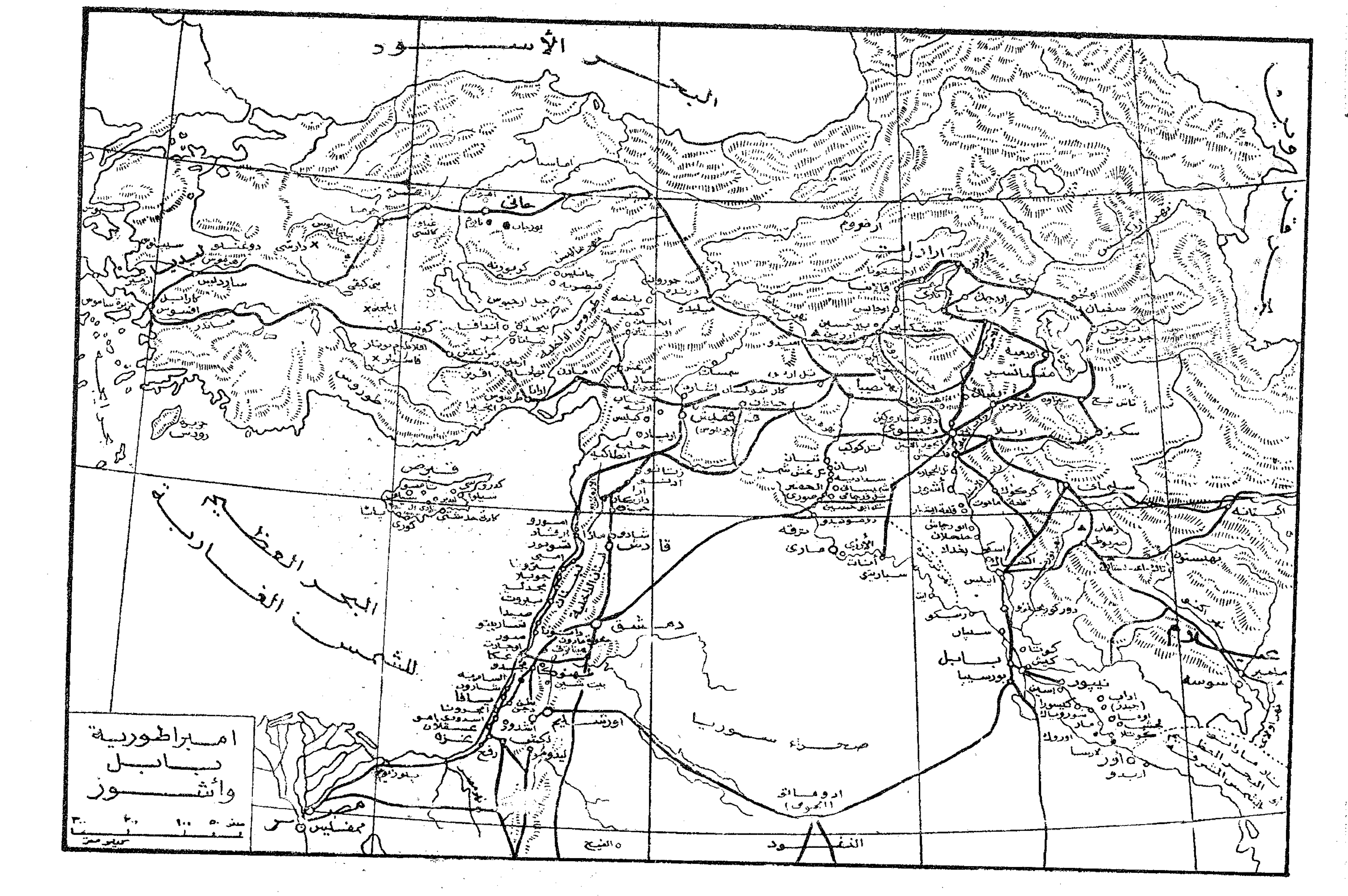
الصفحة	السطر	الكلمات العبرية بالخط العبرى	الكلمات العبرية بالخط اللاتينى	المعنى بالعربية
٣٤	١٠	אֶרֶץ	eres	أرض
	١١	אֲדָמָה	adamah	أرض ، حقل
	١٥	חֲנוֹךְ	Hanōch	حنوخ
	١٦	לֶמֶךְ	Lāmech	لامخ
	١٨	יָבָל	Yāvāl	يافال
		יוּבָל	Jovāl	يوفال
		תּוּבַל קַיִן	Tōfal Qiyn	توفال قين
٣٥	٣	לֶמֶךְ	Lāmech	لامخ
	٤	יָרַד	yārad	يارد
٥٥	٢	אַרְפַּכְשַׁד	arfākschād	أرفكشد
٦٩	١٠	בֵּין־נַהֲרַיִן	ben nahren	بين نهرين
		אֲרַם־נַהֲרַיִן	'arām - nahren	بين نهرين
٧١	١١	אוּר הַכַּשְׂדִּים	'ōr hakkasādiyn	أورهكسديم
		אוּר כַּשְׂדִּים	'ōr kashdiym	أوركسديم
	الهامش ٧	עִיר	'iy	عير
٧٢	٩	הָיָה	hāya	أيا

الصفحة	السطر	الكلمات العبرية: بالخط العبرى	الكلمات العبرية: بالخط اللاتينى	المعنى بالعربية
٧٣	٢	אֶרֶךְ	'erech	وركاء
	١٤	נִרְגָל	nirgāl	نرجال
٨٠	٦	כֶּשֶׂד	kesed	الكاسيون
	٧	כַּשְׂ׳ד	kes,d	الكاسديون
	١١	כַּשְׂדִּים	kasdīm	الكاسديون
٨٢	١٤	נֹד	nōd	نود
	١٥	מַנְדָא	mānda	منده
١٠٢	١	עַזְמָוֶת	'azmāwet	عزماوت
		יַרְמוּת	yarmūt	يرموت
	١٠ الهامش	קרת-חדשת	qarat hadasat	قرطاجنة
١٠٥	٢٠	אֲרָם-נַהֲרִים	'arām - nahrem	آرام نهريم
١٠٧	١٢	בִּסְרָא	bisrā'	بسراء «كوشت»
		לַחְמָא	lihmā'	لحمه «نان»
١١٢	٢١	מִיכָּמוּה בגויים יְהוָה	mikavuka bigawiym yahwe	من مثلك بين الأمم

رقم الإيداع ١٩٦٠/ ٨١
الترقيم الدولى ٢ — ٢٣٥ — ٢٨٦ — ٩٧٧
مطبعة نهضة مصر
الفجالة — القاهرة



أرض النهرين
دجلة والفرات وما يجاورهما
لبيان بلاد الكلدانيين والأشوريين والبابليين
محمد
بلاد العرب
ليديا
ماشك
كيليكيه
أرمينيه
بحر قزوين
بلاد إيران
بحر المشرق
قبرص
الخليج الفارسي
فارس
اصبهان
شيراز
سوسا
أشور
نينوى
هيت
حلب
حماه
دمشق
العريش
سيناء
بحر القلزم
الديار المصرية
منف
أرميه
وان


امبراطورية
بابل
وآشور
البحر الأسود
بحر قزوين
البحر الأعظم
بحر الشمس الغاربة
صحراء سوريا
النفود
خليج فارس
خاتي
ارضروم
ارارات
ساردس
افسوس
ميليد
كركميش
حلب
قادش
دمشق
صيدا
صور
عكا
غزة
اورشليم
مصر
ممفيس
قبرص
نينوى
اشور
كوكب
بابل
بورسيبا
نيبور
سوسه
كوتا
كيش
اور
اوروك
ماري
سبار
اكد
الفرات
عيلام
اربلا
بهستون
قبرص
رودس
طوروس
ميل ٥٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠